

١

تاريخ المصريين

مصطفى كامل  
في مَحْكَمَةِ التَّارِيخِ

بِقِطْعَةٍ  
الدكتور عبد العظيم رمضان



دار النشر





مصطفى كامل  
في مَحكمة التاريخ

بقلم  
الدكتور عبد العظيم رمضان

**الإخراج الفني : محمد قطب**

---

**الغلاف : أسامة سعيد**

## « تاريخ المصريين »

التاريخ هو الذى يصنع الضمير الوطنى والقومى للأمة ،  
ولذلك درجت الأمم على العناية بتاريخها ، والتنقيب فيه ، واجلاء  
ما غمض منه ، لكى تتعرف على ذاتها ، وتستكشف شخصيتها ،  
وتعرف ما أسهمت به فى الحضارة البشرية ، وتبين حجمها بين  
الأمم .

والتاريخ هو ذاكرة البشرية ، وهو وسيلتها لفهم الحاضر ،  
والاستعداد للمستقبل . وشعب بلا تاريخ هو كإنسان بلا ذاكرة ،  
لا يستطيع ممارسة خبراته ، أو التعرف على قدراته ،  
أو مواجهة حاضره ، أو التعامل مع مستقبله . ومن هنا فمعرفة  
التاريخ شرط لفهم الحاضر وبناء المستقبل .

ولقد بدأ وعى الشعب المصرى على « المصرية » - أو على  
« القومية المصرية » بالمعنى الحديث - بسبب الظروف الطبيعية  
لمصر ، التى أنشأت مجتمعا زراعيا على ضفتى النيل ، تجمعته  
فائدة مشتركة فى اقامة حكومة مركزية ، وتكوين كيان موحد  
ينظم الافادة من حياة النهر ، ويدرا به خطر فيضانه . وقد ظل

- هذا الكيان الموحد قائما منذ القدم ، وعبر مختلف العصور وتعاقب الغزاة والعهود ، فتكونت مقومات القومية المصرية منذ القدم ، لتسبق مقومات أية قومية أخرى عبر التاريخ .

وعندما فتح العرب مصر ، لم يعتبر المصريون هذا الفتح عربيا ، بل فتحا اسلاميا بالدرجة الأولى ، وقد ساعد اختفاء السيادة العربية وانتقالها الى أيدي العناصر التركية والمملوكية والعثمانية على تأصيل الفكرة الاسلامية - أو فكرة « الجامعة الاسلامية » بالمعنى الحديث - لدى المصريين ، خصوصا بعد أن فقدت لفظة « عربى » مدلولها الذى انتشر فى العصر الأموى ، ورجعت الى معناها القديم الذى يلتصق بالبادية .

وعندما سنحت الفرصة « للعربية » - أو الشعور القومى العربى - بالدخول الى مصر فى أواخر القرن التاسع عشر ، حال دون ذلك النمو التاريخى المستقل لمصر منذ بداية القرن التاسع عشر ، ونمو الشعور القومى المصرى مع انتشار مبادئ الثورة الفرنسية والثقافة الغربية ، ثم وقوع مصر تحت الاحتلال البريطانى ، الذى أجبر الحركة الوطنية المصرية على الاعتماد على السيادة التركية لأكراه انجلترا على الجلاء عن مصر ، فى الوقت الذى كانت الشعوب العربية تتلطم فيه تحت وطأة الحكم العثمانى وسوء الادارة العثمانية ، مما أوجد تناقضا عارضا بين الحركة الوطنية المصرية والحركة القومية العربية .



وقد زال هذا التناقض تدريجيا بعد الحرب العالمية الأولى ،  
وحلت محله « جامعة الدول العربية » ، التي تأسست في أواخر  
الحرب العالمية الثانية • وتعرض الشعور القومي العربى فى مصر  
للتجربة مع نشأة القضية الفلسطينية ، وقيام دولة اسرائيل :  
ودخول مصر حرب فلسطين - أو الحرب العربية الاسرائيلية  
الأولى - سنة ١٩٤٨ • ثم أصبحت مصر زعيمة حركة القومية  
العربية فى عهد ثورة ٢٣ يوليو ، واندمج الشعور القومي المصرى  
مع الشعور القومي العربى فى شخص عبد الناصر ، الذى أصبح  
رمز الفكرة القومية العربية ، ولم يعد أى مصرى يحس بتناقض  
بين شعوره القومي المصرى وشعوره القومي العربى •

وجاءت حرب يونيو ١٩٦٧ نقطة تحول فى تاريخ حركة  
القومية العربية ، لأن نصرا تحققه الدول العربية فى ذلك الحين  
كان زعيما بأن يوحد الأمة العربية تحت لواء القومية العربية  
من الخليج الى المحيط ، ولكن الهزيمة الساحقة جاءت لتهدم معها  
كل ما شيدته حركة القومية العربية فى العقود السابقة ، وتراجع  
الشعور القومي العربى ، حتى انه عندما أطلقت مصر الطلقة  
الأولى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ لم يكن يعلم بهذا العزم غير دولة  
عربية واحدة هى سوريا ، التى اشتركت معها فى المعركة •

وقد أعاد نصر العبور الشعور القومي العربى من جديد ،  
وبلغ قمته فى قرار الدول العربية المصدرة للبترول استخدام

سلاح البترول في المعركة ، الذي جاء - لسوء حظ الأمة العربية متأخرا - لأن الدائرة كانت قد أخذت تدور على الجيوش المصرية والسورية •

وقد أفلح السادات في الخروج بجيشه سليما من المعركة بقرار قبول وقف إطلاق النار ، ولكنه جرح الشعور القومي العربي على مستوى العالم العربي ، بسبب الموقف المزايد لسوريا ، التي رفضت القرار في البداية ، وقبلته بعدها مرغمة ، بعد أن أدانت موقف مصر ! وبسبب ردود الفعل العربية من مفاوضات الكيلو ١٠١ واتفاقتي فض الاشتباك الأول والثاني ، وظهور ما عرف باسم « جبهة الرفض العربية » ، وبلوغ الانشقاق ذروته بمبادرة القدس في نوفمبر ١٩٧٧ ، وما تلاها من اتفاقتي كامب ديفيد والمعاهدة المصرية الاسرائيلية ، واتخاذ الدول العربية قرارا بطرد مصر من جامعة الدول العربية ، ونقل مقر الجامعة من القاهرة الى تونس •

وبذلك تمزق الشعور القومي العربي شذرا مذرا ، في الوقت الذي كانت تتردى فيه الأوضاع العربية بالحرب الأهلية اللبنانية ، والغزو الاسرائيلي للبنان ، والحرب الأهلية الفلسطينية ، والحرب الايرانية العراقية ، التي اتخذت فيها كل من ليبيا وسوريا موقف التأيد لايران الفارسية ضد العراق العربية ، واستتباب أقدام اسرائيل في الأراضي الفلسطينية



والجولان - مما مكن للشعور الاقليمي في كل بلد عربى على حساب الشعور القومى العربى العام .

وفى مصر ، وبسبب ظروفها الخاصة فى تزعم حركة القومية العربية ، وتدهور أوضاعها الاقتصادية بعد حرب أكتوبر بسبب أعباء الحرب وما سبقها من استعدادات - فقد الشعور الوطنى المصرى قوته الدافعة التى كانت له قبل غلبة الشعور القومى العربى فى عهد عبد الناصر ، مما أفقد الشخصية المصرية كثيرا من خصائصها النشطة التى كان لها دورها الخلاق فى حقل التنمية الاقتصادية قبل الثورة فى عصر القومية المصرية ، أو بعد الثورة فى عصر اندماج القومية المصرية فى القومية العربية .

من أجل ذلك علت بعض الصيحات لأحياء الوطنية المصرية، وتعميق الشعور الوطنى المصرى ، واستعادة خصائص الشخصية المصرية ، وبعث العزة الوطنية ، والاعتزاز بمصر فى النفوس ، فى إطار الشعور القومى العربى الحديث ، والشعور الاسلامى القديم . ولم يكن ذلك ليتحقق الا من خلال شحذ ذاكرة الشعب المصرى التاريخية ، وإعادة اهتمامه بتاريخه . وقد جرت فى ذلك محاولتان ، الأولى فى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، والثانية فى مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، الذى يرأسه الأستاذ السيد ياسين ، لاصدار عمل علمى يجمع تاريخ مصر على مر العصور على نسق كتاب « المجلد فى التاريخ



المصرى « الذى صدر فى عام ١٩٤٢ ، والذى شاركت فى تأليفه  
هيئة من أساتذة التاريخ بكلية الآداب جامعة القاهرة • ولكن  
هاتين المحاولتين لم يقدر لهما التنفيذ حتى الآن •

ومن هنا تأتى أهمية مشروع هذه السلسلة من الكتب فى  
« تاريخ المصريين » الذى حملنى مسئوليته الدكتور سمير سرحان،  
رئيس هيئة الكتاب ، فى فبراير الماضى ، لتعريف الشعب  
المصرى ، والشباب خاصة ، بتاريخه بأسلوب علمى سلس ،  
وبسعر للكتاب يكون فى متناول كل فرد • وقد رحبت بالفكرة ،  
التي رأيت أن تمتد لتشمل تاريخ مصر كله ، القديم والاسلامى  
والحديث والمعاصر ، وكلفت عددا كبيرا من المؤرخين والباحثين  
والمختصين فى التاريخ بالمساهمة فى هذا العمل الوطنى القومى  
الكبير • وقد أبت ثقة الدكتور سمير سرحان بى وحسن ظنه  
بأعمالى العلمية الا أن أبدأ هذه السلسلة بعمل تاريخى من تأليفى،  
واتفقنا على أن يكون هذا العمل هو : « مصطفى كامل فى  
محكمة التاريخ » ، الذى أتشرف بتقديمه •

وأملى أن يلقي هذا المشروع الوطنى والقومى الكبير  
ما هو جدير به من الترحيب والتقدير •

**مصر الجديدة فى أول بنابر ١٩٨٧**

**ا.د. عبد العظيم رمضان**



## تقديم الكتاب

تأثرت نظرة الشعب المصرى لمصطفى كامل  
بمدرسة الحزب الوطنى فى كتابة التاريخ ، وهى التى  
كان يمثلها المؤرخ الكبير الأستاذ عبد الرحمن الرافعى،  
الذى كتب سلسلته المعروفة والقيمة فى تاريخ الحركة  
القومية والوطنية المصرية . ولما كانت مدرسة  
الحزب الوطنى فى كتابة التاريخ هى مدرسة سياسية  
وليست مدرسة تاريخية ، فقد ترتب على ذلك  
اصطباغ نظرة المصريين الى تاريخهم الحديث والمعاصر  
بصبغة الحزب الوطنى السياسية ، وهى صبغة منحازة  
بالضرورة تعمل باستمرار على تبرير أخطاء الحزب  
الوطنى كلما وجدت الى ذلك سبيلا ، وتصور زعماءه  
فى حالة من البطولة الفذة المجردة من الأخطاء البشرية .  
وقد ساعد على نشر وجهة نظر الحزب الوطنى فى  
تاريخ مصر ما تمتع به المرحوم الأستاذ عبد الرحمن  
الرافعى من شهرة قبل الثورة ، ثم - بعد الثورة -  
تبنى ثورة يوليو لنظرة الحزب الوطنى لتاريخ مصر  
المعاصر ، والمعادية لحزب الوفد ، بعد اصطدامها به  
على السلطة والحكم وعملها على تصفيته ، خصوصا  
بعد ان لعب الأستاذ فتحى رضوان، قطب الحزب



الوطني دورا أساسيا في هذا الصدد ، بعد أن اختير  
وزيرا للإرشاد القومي على مدى سنوات .

على أنه لما كانت المدرسة التاريخية الحديثة  
تنظر الى البطولة الشعبية في صورتها الانسانية ، وفي  
اطار التحامها بالشعب صانع البطولات ، وتعمل على  
تجريبها من هالات البطولة الالهية المنفصلة عن الواقع،  
وتعتمد بصور أساسية على الوثيقة التاريخية المجردة  
التي هي سيدة الأدلة - فمن هنا كانت هذه الدراسة  
عن مصطفى كامل في محكمة التاريخ ، التي تضم  
البطل في اطاره التاريخي الطبيعي ، الذي يستند الى  
العلم لا السياسة . وتعيد الى التاريخ هيئته ووقاره  
كعلم من أهم العلوم الانسانية ، وليس كداة في يد  
المدارس السياسية المختلفة تشكله وتصبغ أحداثه  
كما تشاء .

مصر الجديدة في أول يناير ١٩٨٧

د. عبد العظيم رمضان



في بيت بحى الصليبة بالقاهرة ، ولد مصطفى كامل في  
٤ أغسطس ١٨٧٤ ومصر حبلى بالثورة ضد الوصاية الأجنبية ،  
التي كانت في ذلك الحين تدفع برءوس أموالها ، ومن ورائها  
نفوذها السياسى ، لاختضاع مصر للسيطرة الاستعمارية •

وعندما بلغ الخامسة من عمره ، كانت مصر تشهد أعظم  
حركة دستورية في تاريخها الطويل ، بقيادة الزعماء الدستوريين  
وعلى رأسهم محمد شريف باشا • وفي يونيو ١٨٧٩ كانت الوصاية  
الأجنبية تستعرض عضلاتها بخلع الخديو اسماعيل ، الذى أراد  
المقاومة ، وجاء ابنه توفيق الى العرش وهو يعى درس خلع والده  
على يد الاستعمار •

وعندما بلغ مصطفى كامل سن السابعة من عمره ، سمع  
بمظاهرة عابدين ، التي هزت أرجاء مصر في ٩ سبتمبر ١٨٨١ ،  
عندما وقف عرابى باسم الأمة المصرية يتحدى الخديو توفيق ،  
ويطالبه بالحكم الدستورى •



وفي الثامنة ، شهد مصطفى كامل الثورة تندلع في البلاد ،  
وتقع السلطة في يد الثوار ، ثم تنتهي نهاية حزينة بمدافع الأسطول  
البريطاني وهي تقذف طوابي الاسكندرية يوم ١١ يولية ١٨٨٢ •  
ثم يشهد الأيام الأولى السوداء للاحتلال بعد استسلام عرابي  
والقادة العرابيين ومحاكمتهم •

وفي العاشرة من عمره ، شهد مصطفى كامل شريف باشا  
وهو يستقيل استقالة مسببة مدوية في ٧ يناير ١٨٨٤ ، احتجاجا  
على تدخل انجلترا ومطالبتها له باخلاء السودان ، وقال كلمته  
المأثورة : « اذا تركنا السودان ، فالسودان لن يتركنا » ! •

وقد رسخت هذه الأحداث الجسام في ذهن الصبي  
مصطفى كامل ، وعبأت صدره ضد الاحتلال الانجليزي ، أى ضد  
بريطانيا بالذات •

ولاشك أن نشأة مصطفى كامل كان لها تأثير هام • فهو  
من أسرة عسكرية ، اذ كان والده على أفندي محمد ضابطا  
مهندسا في سلاح الطوبجية ( المدفعية ) ثم في بلوكات المهندسين،  
ووصل الى رتبة اليوزباشى وقومنداناً في عهد عباس الأول ، ثم  
عين في عهد سعيد باشا ضمن أركان حرب معيته ، وأحيل الى  
الاستيداع في عهد اسماعيل ، ثم عين مهندسا ملكيا حتى  
عام ١٨٧٧ ، حيث أحيل الى المعاش •



وفي الوقت نفسه ، كانت والدته مصطفى كامل كريمة  
لضابط عسكري أيضا ، هو اليوزباشي محمد أفندي فهمي .  
وقد تشربت في بيت والدها بالروح الوطنية العسكرية المصرية ،  
ونقلتها الى مصطفى كامل في الشكل الذي أجج شعوره  
الوطني .

وعلى هذا النحو لم يكن مصطفى كامل كأي فرد من أقرانه،  
اذ تشرب من صغره الروح الوطنية بتركيز أكبر ، وكان على  
وعى أكبر بالكرامة والحرية والشجاعة ، مما دفعه الى رفض  
الظلم في السادسة من عمره على يد مدرسه ، عندما أهانه ،  
وعاقبه بالحبس لمدة ساعتين ، لأنه أجاب على سؤال وجه الى  
زميل له لم يرد عليه . فطلب الى والده أن يلحقه بمدرسة أخرى  
غير مدرسة « والدته عباس الأول » الابتدائية بالصلبية ، فنقله  
الى مدرسة السيدة زينب الابتدائية التابعة لوزارة الأوقاف .

وفي عام ١٨٨٦ توفي والد مصطفى كامل وهو في الثانية  
عشرة من عمره ، فأصيب بصدمة شديدة ، وكفله من بعده أخوه  
الأكبر حسين بك واصف ( حسين باشا واصف وزير الأشغال  
فيما بعد ) ، فنقله الى مدرسة « القرية » قريبا من منزل جده  
لأمه ، الذي أقام فيه وأخوته .

وفي عام ١٨٨٧ حصل مصطفى كامل على شهادة الابتدائية ،  
وعمره ثلاثة عشر عاما . وكان الحصول على هذه الشهادة



فى ذلك الزمن ، الذى تق لفيه نسبة المتعلمين فى مصر الى أدنى حد ، عملا هاما ، الى الحد الذى كانت تعد له الاحتفالات ! - كما يحدث فى وقتنا الحاضر بالنسبة للحاصلين على درجتى الماجستير والدكتوراه ! - ولذلك فقد أقيم احتفال فخم لتسليم شهادات الابتدائية ، حضره خديو مصر بنفسه ! ، وهو الخديو توفيق سنة ١٨٨٧ ، وتسلم فيه الصبى مصطفى كامل شهادته •

وسرعان ما دخل المدرسة التجهيزية ( الثانوية ) ليواصل دراسته فى المرحلة الثانوية • وهى مرحلة كانت تتيح لأصحابها فى ذلك الحين التمتع برعاية وزير المعارف نفسه ! •

ولهذا السبب لا نعجب كثيرا اذا عرفنا أن مصطفى كامل فى هذه المرحلة كان على اتصال بعلى مبارك باشا وزير المعارف ، وكان هذا يدعوهُ الى بيته ويقدمهُ الى زواره من العظماء والكبراء والعلماء ! •

وقد حدث أن رسب فى مادة من المواد هو وكثير من زملائه ، بسبب نظام الامتحان ، فانطلق بنفسه الى منزل الوزير يشكو اليه سوء هذا النظام ، ويطلب تعديله ! ، وكان يجادل الوزير بجرأة وشجاعة ! •

وقد أشار الى ذلك الشيخ على يوسف ، صاحب جريدة



المؤيد ، بقوله : « دخلت ذات ليلة على علي مبارك باشا في منزله ، في أوائل سنة ١٨٩٠ ، وهو يومئذ ناظر المعارف ، ومجلسه حافل بالفضلاء والأدباء ، وإذا بمصطفى كامل ، وكان يومئذ تلميذا بالمدرسة الثانوية ، يجادل الباشا في أمره ، ويقول : « انتى لا أطلب منك الا ما وجدت أنت من مثلك يوم كنت تلميذا مثلى ! • وما يدريك ألا أكون عظيما أخدم وطنى غدا بأكثر مما تخدمه أنت اليوم ؟ » وبعد ما خرج ، ابتسم الباشا وقال : انتى أعجب كثيرا بشجاعة هذا التلميذ ، ويلذ لى أن يتكلم أمامى كثيرا بمثل هذه الشجاعة النفسية » •

ثم قال الشيخ على يوسف : « من تلك اللحظة عرفت مصطفى كامل ، وكأنما عرفت رجلا لا تلميذا في المدرسة » ! • وفى نفس العام ١٨٩٠ أسس مصطفى كامل « جمعية الصليبية الأدبية » ، ليفرغ فيها شحنته من الخطابة والكتابة ، ويقف مساء كل جمعة بين زملائه يرتجل ما تمليه قريحته ! •

ومن الطريف أنه كان يتردد في نفس الوقت على جمعية أخرى تسمى « جمعية الاعتدال » ، كانت تعقد جلساتها الأسبوعية بمدرسة الأمريكان ، ليتعرف على من فيها من الأدباء ! •

وهكذا كانت حياة مصطفى كامل في المرحلة الثانوية ، حافلة بالنشاط العلمى والثقافى ، كما كانت خصبة بالتعرف على

كبار رجالات بلده ، وهو أمر لا يتوفر لطالب المرحلة الثانوية ، بل ولا الجامعية في وقتنا الحاضر ! • وكل ذلك أنمى شخصيته ، ومنحها أبعادا هائلة لدوره الوطنى الذى لعبه فى تاريخ مصر •

وتشير الدلائل الى أن مصطفى كامل كان يدرك بغيرته وشعوره الباطن أن حياته جد قصيرة ، فأراد أن يعيشها بالعرض لا بالطول ! وهو ما فعله تماما حتى لمسكن القول أنه اذا كان قد مات وعمره أربعة وثلاثين عاما ، الا أنه عاش ضعف عمره على الأقل ! ، وقدم لبلاده ما لا يقدم فى ضعف هذا العمر ! •

فلم يكد يتم دراسته الثانوية سنة ١٨٩١ حتى عزم على الالتحاق بمدرسة الحقوق الخديوية • ولم يكن هذا الاختيار عشوائيا ، وانما كان لهدف عظيم ، هو اعداد نفسه للدفاع عن قضية بلاده • وهو ما أفصح عنه حين وصف مدرسة الحقوق بأنها « مدرسة الكتابة والخطابة ومعرفة حقوق الأمم والأفراد » • وقد كتب الى أخيه على فهمى ، الذى كان وقتذاك ضابطا فى السودان ، يشرح أسباب اختياره مدرسة الحقوق ، فى خطاب مؤرخ فى ١٢ يولية ١٨٩١ ، يقول فيه :

« العقبة الكئود التى أمامى ، وهى شهادة الدراسة الثانوية ، قد زالت • فقد نلتها بعد أن أضنت جسمى ، فأصبح نحىلا ، لا صحيحا ولا عيلا - ولكنى أوئل أن تعود الى القوى لأدخل مدرسة الحقوق الخديوية • فقد عزمت على الانضمام الى صفوف



طلابها ، لأنها مدرسة الكتابة والخطابة ومعرفة حقوق الأفراد  
والأمم • وأنت تعلم أنى أمل إليها كثيرا » • ثم ينهى الى أخيه  
عزمه على تأليف جمعية باسم « احياء الوطن » ! •

وقد التحق مصطفى كامل بالفعل بمدرسة الحقوق في  
أكتوبر ١٨٩١ ، وهو فى السابعة عشرة من عمره • ولكن رغبته  
الداخلية فى مضاعفة حياته ، دفعته الى الالتحاق ، فى العام  
التالى مباشرة ، أى فى أكتوبر ١٨٩٢ - بمدرسة الحقوق  
الفرنسية ، رغم نجاحه فى امتحان السنة الأولى ، ليجمع بين  
المدرستين ، ويضاعف دراسته القانونية ! • وهو جهد جبار ،  
لأن مصطفى كامل لم يكن يتقن اللغة الفرنسية ، بل كان ضعيفا  
فيها ، باعترافه لأخيه على فهمى فى خطابه السالف الذكر - وكان  
عليه لذلك ، أن يدرس أيضا اللغة الفرنسية ليجيد الكتابة  
والخطابة بها ، بالإضافة الى دراساته القانونية • فكان يقضى  
النهار فى مدرسة الحقوق الخديوية ، ويقضى المساء فى مدرسة  
الحقوق الفرنسية • ومع ذلك فقد حصل على شهادة الحقوق  
من جامعة تولوز فى نوفمبر ١٨٩٤ ، أى بعد عامين اثنين ! •

والأمر المذهل أن هذه السنوات الثلاث التى قضّاها  
مصطفى كامل فى مدرستى الحقوق الخديوية والحقوق الفرنسية  
- أى من أكتوبر ١٨٩١ الى نوفمبر ١٨٩٤ - لم تكن سنوات  
دراسة علمية فقط ، بل انه وقعت فى خلال هذه السنوات الثلاث

أعظم الأحداث التي كونت حياة مصطفى كامل السياسية وتتمثل  
في ثلاثة لقاءات تاريخية :

أولها - لقاء مصطفى كامل بعبد الله النديم ، خطيب الثورة  
العرايية المشهور •

والثاني - لقاء مصطفى كامل بالخديو عباس الثاني •

والثالث - لقاء مصطفى كامل بأوروبا واحتكاكه لأول مرة  
بالحضارة الغربية ! •

وبالنسبة للقاء مصطفى كامل بعبد الله النديم ، فمن المعروف  
أن النديم كان قد صدر أمر بالقبض عليه في أعقاب الاحتلال  
كغيره من زعماء الثورة العرايية ، ولكنه استطاع الهرب داخل  
البلاد • ورغم تخصيص مكافأة قدرها ألف جنيه للقبض عليه ،  
وتهديد الحكومة لكل من يأويه بالاعدام ، إلا أن النديم تمكن  
من الاختفاء لمدة زادت على تسع سنوات ، بمساعدة الأهلين ! ،  
حتى توفي الخديو توفيق في ٧ يناير ١٨٩٢ ، وتولى عباس حلمي  
الخديوية خلفا له ، وأصدرت وزارة الداخلية عفوا عن  
عبد الله النديم ، وسمح له بالعودة الى القاهرة •

وقد سارع مصطفى كامل الى لقاء النديم عندما علم  
بظهوره في القاهرة ، وقدم نفسه اليه كطالب من طلبة الحقوق ،



فرحب به ، ونشأت بين الفتى والنديم صلة كان لها تأثيرها البالغ  
في مصطفى كامل من ناحيتين :

الناحية الأولى ، اتجاه مصطفى كامل الى العمل الصحفي ،  
بعد أن شرح له النديم أهمية الصحافة ودورها في تنوير وتكوين  
الرأى العام . خصوصا بعد أن افتتح النديم نضاله في أعقاب  
عودته الى القاهرة باصدار مجلة باسم « الأستاذ » ، صدر  
العدد الأول منها في ٢٣ أغسطس ١٨٩٢ .

فبعد صدور مجلة « الأستاذ » بستة أشهر ، أى في  
١٨ فبراير ١٨٩٣ ، أصدر مصطفى كامل العدد الأول من مجلة  
شهرية باسم « المدرسة » ، كمجلة « وطنية أدبية تهذيبية علمية »  
تصدر في غرة كل شهر عربى . وجعل شعارها المطبوع في صدر  
كل عدد « حبك مدرستك حبك أهلك ووطنك » ! . وجعل  
نفسه مديرها ومحررها ! . وقد نوه النديم بها عند صدور  
في مجلة « الأستاذ » ، تشجيعا لمصطفى كامل ! .

ولم يخف مصطفى كامل في العدد الأول من مجلة « المدرسة »  
تأثره بعبد الله النديم ومجلة « الأستاذ » ، فقد كتب يقول انه  
أنشأ هذه الجريدة « لتكوين مركزا لجمع درر فرائد  
« الأستاذ » ! - الأمر الذى يوضح مدى اعتماد مجلة  
« المدرسة » على مجلة « الأستاذ » ! .

كما اتبع مصطفى كامل في مجلة « المدرسة » نفس أسلوب عبد الله النديم ، وهو أسلوب المحاورات • فكما كتب عبد الله النديم في أولى أعداد « الأستاذ » حوارا بين النديم وشخص يسمى حبيب ، عن فضل اللغة العربية وأهميتها - كذلك كتب مصطفى كامل في مجلة « المدرسة » « محاوره بين الأستاذ والتلميذ » ، « محاوره بين صديقين » - وهكذا ! •

وكما كتب النديم عن أهمية تعليم أبناء الشعب ، وضرورة تعميم التعليم ، كذلك كتب مصطفى كامل عن أهمية تعميم التعليم بقوله : « ان تعميم التعليم من أهم الأسباب الداعية لنمو العمران » •

كذلك حين كتب عبد الله النديم يدافع عن الفلاح المصرى ويصفه بالذكاء والنباهة : فعل مصطفى كامل المثل ، فروى قصة مبالغ فيها عن تلميذ يبلغ من العمر عشر سنوات قادم من الصعيد ، استطاع أن يحل مسألة رياضية عجز مصطفى كامل وزملاؤه عن حلها ! ، مما دعا أكبرهم الى مخاطبة التلميذ قائلا : « أيها الفلاح ، أنت مثلنا متمدين » ! •

كما طالب مصطفى كامل الحكومة المصرية - « ان كانت حكومة أهلية » ! ( أى وطنية ) - أن تبذل كل جهدها فى نجاح حال الفلاح ومساعدته •



وكما تحدث النديم عن آداب الصوم وأحكامه في شهر رمضان ، كذلك فعل مصطفى كامل في العدد الثاني من مجلة المدرسة الصادرة في ١٩ مارس ١٨٩٣ . كذلك عندما دافع عبد الله النديم عن سياسة الحجاب ، ودعا الى اتباعه لأنه « من قواعد الشرع والأدب » - هذا مصطفى كامل حذوه ، فكتب يقول : ان قواعد انشرع والأدب تقضى بضرب الحجاب على النساء ، فليس لهن أن يستخدمن بالمصالح كالرجال ، وانما يكفي أنهن يدبرن شئون المنزل ويهذين أولادهن ! •

وقد كان من الطبيعي أن يتأثر مصطفى كامل بعبد الله النديم - الذي كان خطيب الثورة العراقية الأكبر - في حياته الخطائية • فقد لاحظ بعض الباحثين انه على الرغم من أن مصطفى كامل قد تميز عن أستاذه بالملمة باللغة الفرنسية ومعرفته لآراء الغربيين ، الا أنه استخدم نفس الأسلوب المؤثر على المستمعين • فقد كان النديم ذا فصاحة وبيان ، وصوت جهورى ، وحجج قوية ، وجراءة فائقة في مواجهة الجماهير - وكذلك كان مصطفى كامل ! • وكما ظهرت خطورة خطب النديم خلال الثورة العراقية ، كذلك ظهرت خطورة خطب مصطفى في فترة نضاله لبعث الروح الوطنية التي خمدت في كثير من النفوس •

هذا على كل حال هو الجانب الأول من تأثير مصطفى كامل

بعبد الله النديم • أما الجانب الثاني فلا يقل خطورة ، فقد عرف مصطفى كامل من عبد الله النديم أسرار الثورة العراقية ، وأسباب فشلها ، ولذلك فقد تحاشى الزج بالجيش في حركته السياسية ، حتى لا يستفز الاحتلال الى التدخل ، كما حدث في الثورة العراقية ، رغم أن الخديو عباس حلمي حاول الاستعانة بالجيش في حادثة الحدود المشهورة سنة ١٨٩٤ • وقد كان فشل الخديو عباس في هذه المحاولة ، من الأسباب التي عززت سياسة مصطفى كامل في عدم الاستعانة بالجيش •

ففى ٢٤ يونية سنة ١٨٩٥ - أى بعد عشرين يوما من تقديم مصطفى كامل لوحة سياسية مشهورة الى مجلس نواب فرنسا تصور مصر راسفة في الاغلال ، ويطلب فيها مساعدة مصر - تملك الحماس رجال الجيش المصرى بسواكن في السودان ، فكتب اليه واحد وثلاثون منهم رسالة قالوا فيها :

« ان الذين يخاطبونك ، يجدون أنفسهم أمام وطنيتك النادرة ، وتفايك في حب مصر المقدسة - صغارا ! • لأن قلمك الحق أمضى من سيوفنا ، وحججك القوية أفعل من رصاصنا • فاقبل شكرنا ، واعلم أن أرواحنا طوع اشارتك في خدمة بلادنا العزيزة » •

وقد رد مصطفى كامل على هذه الرسالة ينصح بعدم



تدخل الضباط في السياسة ، ويقول : « من الحكمة ألا تمكن العدو من رقابنا • واني لا أود أن يدخل الضباط في حركتنا السياسية دخولا ظاهرا ، لأن هذا يضر بالمسألة المصرية ضررا بليغا ، حيث يجد الاحتلال مسوغا لخلق التهم الثورية بمصر ، وغير ذلك مما لا يخفى عليكم » ! •

كذلك تحاشى مصطفى كامل وقوع تناقض بين الحركة الوطنية ، والخديو عباس ، حتى لا يعرض حركته للمصير الذى انتهت اليه الثورة العراقية بعد صدامها بالخديو توفيق ، حين لعبت الدسائس الانجليزية دورها فى اللعب على حبل هذا الصدام وتوسيع شقة الانقسام •

وقد ساعدت الظروف مصطفى كامل على أن يسلك هذه الخطة ، بسبب العلاقة الخاصة التى ربطته بالخديو عباس حلمى ، والتى تعد من أعظم العوامل التى كونت حياة مصطفى كامل السياسية فى فترة دراسته بمدرسة الحقوق •

وكان الخديو عباس حلمى قد تولى الخديوية يوم ٨ يناير ١٨٩٢ ، وهو اليوم التالى لوفاة والده الخديو توفيق ، وقد وصل من فينا الى القاهرة يوم ١٦ يناير ١٨٩٢ • ولما كانت مصر تابعة لتركيا فى ذلك الحين ، فكان من الضرورى صدور فرمان من السلطان العثمانى باسناد الخديوية اليه ، وقد صدر

هذا فرمان في ٢٦ مارس ١٨٩٢ ، وهو يقطع من الأراضي المصرية شبه جزيرة سيناء بما في ذلك العقبة ! ، مما أثار الخديو ، وأثار اعتراض الحكومة الانجليزية التي كانت تحتل مصر بجيوشها ، فتدخلت لدى الحكومة العثمانية ، وأفلحت في استصدار « ارادة سنية » بإسناد ادارة شبه جزيرة سيناء الى الخديو كما كانت لأسلافه ، في ٨ أبريل ١٨٩٢ •

لهذا السبب كانت العلاقة بين الخديو عباس حلمي والانجليز علاقة ودية في العام الأول من حكمه ، وهو عام ١٨٩٢ ، اذ كان الخديو في حاجة لتأييد الانجليز نه في مسألة حدود مصر ، كما أن اللورد كرومر ، ممثل بريطانيا في مصر أرضاه بعدم تعيين مجلس وصاية عليه لعدم بلوغه سن الرشيد بالسنين الميلادية •

على أنه منذ أواخر عام ١٨٩٢ أخذت تتجمع العوامل التي حملت عباس حلمي على تغيير سياسته تجاه الانجليز ، من سياسة ود ومصالحة الى سياسة خصومة وعداء • ففي ذلك الحين كان عباس حلمي يحس بأنه أمير دمية ! ، وأن سلطته سلطة شكلية • وأن السلطة الفعلية في يد الانجليز • وكان رئيس وزرائه مصطفى فهمي باشا يتعامل مع اللورد كرومر على أساس أنه ممثل السلطة الفعلية التي تستطيع فرض ارادتها على البلاد بحكم وجود جيش الاحتلال — مما دعا الخديو عباس حلمي



الى اقالته فى ١٥ يناير ١٨٩٣ • على أن اللورد كرومر لم يلبث أن تدخل سريعا ، فأبلغ عباس حلمى اعتراض الحكومة البريطانية على الاجراء أنذى اتخذه ، وهدده بأنه اذا قاوم ارادته فسوف يجازف بسلطته وبشخصه ! • ثم سويت الأزمة بتعيين رياض باشا رئيسا للوزراء •

كان بسبب هذه الحادثة أن انقلب الخديو عباس حلمى الثانى على الانجليز • وكما فعل جده اسماعيل من الاستعانة بالقوى الوطنية ، فكذلك فعل عباس حلمى • ولكن نظرا لتغير الظروف ، وعدم وجود حزب وطنى قوى — كما كان الحال فى عهد اسماعيل — فقد عمد عباس الى الاستعانة سرا ببعض العناصر الوطنية القريبة الصلة فى القصر ، وفى الخارج ببعض الشباب الذى يتوسم فيه القدرة على العمل السياسى • وفى هذه الظروف لعبت الصدفة دورها فى تعرفه على مصطفى كامل •

ففى نوفمبر ١٨٩٢ — أى قبل أزمة اقالة مصطفى فهمى باشا بشهرين — زار الخديو عباس حلمى مدرسة الحقوق الخديوية ، فكان مصطفى كامل على رأس الطلبة الذين رحبوا به ، وألقى بين يديه قصيدة مطلعها :

بشرى الحقوق بسيد الأمراء  
كنز العلا ، عباس ذو النعماء

شراك يادار العدالة والهدى

بملك مصر وأوحد العظماء

وقد كان فى أعقاب هذه الزيارة أن تم الاتصال بين عباس حلمى ومصطفى كامل ، عن طريق حسن باشا عاصم ، رئيس ديوان الخديو ، وعبد الرحيم أحمد وكيل الادارة العربية بالمعية السنية ، لتنسيق العمل الوطنى . ولم يكذ يمشى شهر ونصف بعد الزيارة ، حتى كان مصطفى كامل يدعو رفاقه طلبة مدرسة الحقوق الى الاحتفال بعيد جلوس الخديو فى حديقة الأزبكية يوم ٨ يناير ١٨٩٣ ، ولم يكن مثل هذا الاحتفال معروفا من قبل ! •

وبعد عشرة أيام من هذا الاحتفال ، وبمناسبة الصدام بين الخديو عباس حلمى واللورد كرومر على اقالة مصطفى فهمى باشا ، نظم مصطفى كامل مظاهرة من طلبة الحقوق لتأييد الخديو ، توجهت الى عابدين مع وفود الأمة التى توجهت لهذا الغرض ! •

وأهمية هذه المظاهرة التى نظمها مصطفى كامل ، أنها تمثل بداية اشتراك الطلبة فى الحركة الوطنية بصفة فعالة ضد الاحتلال، وهى سمة سوف تميز فيما بعد نضال مصطفى كامل والحزب الوطنى وتمهد لاشتراك الطلبة فى ثورة ١٩١٩ •



على كل حال ، اذا كان لقاء مصطفى كامل بالخديو عباس  
الثانى يعد أخطر الأحداث فى حياته السياسية فى فترة دراسته  
للحقوق ، فان لقاءه بأوروبا لا يقل خطورة ، ليس فقط لما  
ترتب على هذا اللقاء من تأثير فى تكوين مصطفى كامل الثقافى  
والفكرى ، وانما لأن أوروبا كانت فى تلك الظروف التاريخية  
تمثل الميدان الرئيسى لكفاح مصطفى كامل .

ففى تلك الفترة التاريخية من حياة مصر ، كانت هناك  
ثلاثة عوامل تتحكم فى حرية مصر واستقلالها وتقرر مصيرها :

العامل الأول ، هو تبعيتها للدولة العثمانية ، بمعنى أن مصر  
كانت تقع تحت السيادة العثمانية ، على الرغم من أن انجلترا  
كانت تحتلها منذ ١١ يولية ١٨٨٢ ! . ولكن تبعية مصر للسيادة  
العثمانية لم تكن مطلقة ، بل كان لها وضع خاص واستقلال  
ذاتى ، حصلت عليه بمقتضى معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ والفرمانات  
المؤكددة لهذه المعاهدة ، الى جانب الفرمانات التى صدرت فى عهد  
الخديو اسماعيل بشأن اختصاصات ومسئوليات الخديوية .

أما العامل الثانى فهو الصفة الدولية للمسألة المصرية منذ  
معاهدة لندن ١٨٤٠ . لأنه بعد هذه المعاهدة الدولية ، التى  
اشتركت فى ابرامها كل الدول الكبرى فى ذلك الوقت - لم يعد  
فى وسع أية دولة كبرى أن تغير وضع مصر السياسى الدولى ،

دون اتفاق مع بقية الدول التي وقعت المعاهدة • بل لا تستطيع الدولة العثمانية ذلك على الرغم من سيادتها على مصر ! •

أما العامل الثالث ، فهو الاحتلال البريطاني ، الذي مثل عند وقوعه خرقا واضحا وانتهاكا صريحا لمعاهدة لندن ١٨٤٠ ، بعد أن هيا لدولة كبرى أن تحدث تغييرا في وضع مصر السياسي الدولي دون موافقة بقية الدول الكبرى ! •

هذه العوامل الثلاثة هي التي حددت مجال العمل السياسي لمصطفى كامل ، وهو أوروبا • لأنه اذا كانت مصر قد غلبت على أمرها بالاحتلال البريطاني ، فان المصلحة الوطنية كانت تقضى باستغلال التناقض الذي وقع بين مصالح الدول الأوروبية وبين انجلترا التي احتلت مصر ، والاستعانة بدول أوروبا لأكراه انجلترا على الجلاء عن مصر •

ولما كانت فرنسا هي أكبر دولة منافسة لانجلترا في ذلك العصر ، فقد كان لهذا السبب أن اتجه مصطفى كامل الى فرنسا يحرضها باسم مصائحها ، وباسم التوازن الدولي في البحر المتوسط ، لأكراه انجلترا عن الجلاء عن مصر ! •

وكانت الظروف قد هيات لمصطفى كامل الاحتكاك حضاريا بفرنسا عندما التحق بمدرسة الحقوق الفرنسية كما ذكرنا • ذلك



أن امتحان نهاية العام في هذه المدرسة كان لابد أن يتم في فرنسا • ولهذا الغرض سافر مصطفى كامل الى فرنسا يوم ٢٣ يونية ١٨٩٣ لأداء امتحان السنة الأولى • فأتاحت له هذه الزيارة الفرصة للاحتكاك بالحضارة الأوروبية ، والاتصال بمصادر الثقافة ودور العلم ، وأتاحت له أكثر من ذلك الاختلاط بالشعوب الأوروبية وغيرها •

فيقول في خطاب لأخيه على فهمي في ٢٩ يولية ١٨٩٣ •  
« لقد تعرفت هنا بطلاب روسيين وبولونيين ويابانيين ، فرأيتهم جميعا منكبين على العلم ، ولكنى أؤكد لك أن المصري أقواهم عارضة وأعلام ذكاء ، ولا ينقصه الا الارادة التي هي أس النجاح » •

كذلك تهيأ لمصطفى كامل الاتصال بالأساتذة والصحفيين الفرنسيين ، والدخول معهم في مناقشات حول المسألة المصرية ، مما أفاده من النواحي العلمية والسياسية •

ولم يلبث مصطفى كامل أن عاد الى فرنسا في صيف العام التالي ، سنة ١٨٩٤ ، ليؤدي امتحان السنة الثانية بنجاح ، وانهز الفرصة لزيارة بروكسل ، ثم عاد الى مصر في سبتمبر من نفس السنة •

عاد مصطفى كامل الى مصر وهو يعتزم العودة الى باريس في الشهر التالي مباشرة ليؤدي امتحان السنة الثالثة ، ويحصل

على اللسانس في نوفمبر من نفس العام ، أى ليؤدى امتحانين في عام واحد ! • وهو أمر غير مفهوم ، ولا يفسره الا ذلك الاحساس الخفى الذى كان يبطنه مصطفى كامل بأن عمره قصير، وهو الذى جعله يضاعف دراسته للحقوق في مدرسة مصرية ومدرسة فرنسية معا ، فأراد أن يضاعف امتحانه في عام واحد ويجتاز عامين دراسيين في عام واحد ! •

على أنه لما كان نظام كلية الحقوق في جامعة باريس لا يسمح لمصطفى كامل بأداء امتحانين في سنة واحدة ، فلذلك تقدم بمساعدة أساتذته الفرنسيين في مصر ، الى جامعة تولوز ، التى قبلت أن يؤدى مصطفى كامل أمامها الامتحان النهائى ، فنجح فيه ، وحصل على ليسانس الحقوق في نوفمبر ١٨٩٤ وله من العمر عشرون عاما •

وقد استرعى هذا العمل اهتمام صحف تولوز ، فكتبت جريدة « دى تولوز » خبرا مطولا عنه جاء فيه : « بين الذين نجحوا في كلية الحقوق عندنا ، شاب مصرى ، هو مصطفى كامل، ولم يكن مقيدا في الكلية عند بدء الدراسة ، بل هذه أول مرة يلتحق فيها بالكلية • ومن يعلم أنه دخل امتحان يولية الماضى في كلية الحقوق بجامعة باريس ، واجتازه بنجاح باهر - فانه يدهش كثيرا لهذا الذكاء النادر ! • ولا يسعنا الا أن نهنيء مصر به ، ونرجو له النجاح التام في العمل الذى



يريد به خدمة بلاده • وان مدينة تولوز لتفخر بأن تسجل في  
عداد خريجها شابا كهذا الشاب » ! •

على هذا النحو انتهى مصطفى كامل من دراسته القانونية  
بهذا الشكل المكثف الفريد ، ليتفرغ لخدمة بلاده التي وهبها  
حياته ، وهو ما عبر عنه في خطاب صريح لأخيه على فهمي في  
١٨ نوفمبر ١٨٩٤ ، حيث كتب يقول : « أصبحت حاملا شهادة  
الحقوق ! • ولو أتيح لى الخير ، وبلغت ما أتمنى ، كنت المدافع  
عن حقوق الأمة بأسرها أمام العالم أجمع ، لأن مصر - وهى  
جنة الدنيا - لا نسمح أن يداس شرفها بالأقدام ، ونصبح  
فيها - نحن أبناؤها الأجزاء - ممقوتين غرباء » ! •

وقد عاد مصطفى كامل الى مصر مزودا بصندوقين كبيرين  
مملوءين بالكتب فى تاريخ المسألة المصرية ، وأخذ يعكف عليها  
لدراستها ، كما يدرس المحامى الناجح القضية التى ينوى  
الترافع فيها ! •

وكان فى ذلك الحين قد انتقل الى منزل استأجرته عائلته  
خلف قسم المنشية بعمارة خليل أغا ، حيث وضع لنفسه برنامجا  
صارما للعمل والدراسة استعدادا لأعباء النضال فى سبيل  
مصر •

وسرعان ما أخذت علاقات مصطفى كامل بالخدو عباس

الثانى تتطور فى خدمة المسألة المصرية • وقد سبق أن تحدثنا عن هذه الصلة ، التى بدأت بعد زيارة الخديو عباس لمدرسة الحقوق الخديوية فى نوفمبر ١٨٩٢ ، ورأينا نشاط مصطفى كامل فى تجنيد طلبة المدارس لتأييد الخديو فى صراعه مع اللورد كرومر • وقد أثمر هذا التعاون رعاية من جانب الخديو عباس لمصطفى كامل فى دراسته • فعندما عزم على اتمام دراسته بأوروبا ، وسافر الى تولوز ، كان ذلك بتعريض الخديو ، فقد تولى الخديو الاتفاق على مصطفى كامل ، الى جانب أخيه من أبيه الدكتور عبد الفتاح فتحى ، كما جعل له راتبا شهريا ! • وعندما عاد مصطفى كامل الى مصر فى ٦ ديسمبر ١٨٩٤ ، وأصبح متفرغا للنضال الوطنى ، أرسل اليه الخديو عباس عبد الرحيم أحمد ، الذى يعمل فى المعية الخديوية ، للاستعداد للسفر الى فرنسا للدعاية للقضية الوطنية ! • وكان عبد الرحيم أحمد هو همزة الوصل بين الخديو عباس ومصطفى كامل • وقد جرت اللقاءات فى احدى مقاهى باب الخلق ، حيث كان عبد الرحيم أحمد يخرج من الباب الخلفى لسراى عابدين ، لتفادى جواسيس اللورد كرومر ، لمقابلة مصطفى كامل وادخاله قصر عابدين •

فى ذلك الحين كان الخديو عباس الثانى يعتمد على فرنسا لحمل انجلترا على الجلاء عن مصر • ولهذا السبب قرب اليه



مجموعة من الفرنسيين كانت تلتف حول السكرتير العام في  
القصر ، وهو فرنسي يدعى لويس روييه Louis Rouiller  
وتضم جافيو Gavillot زعيم الجالية الفرنسية في مصر .

وعندما خطط الخديو للدعاية للقضية الوطنية في فرنسا ،  
أوكل لأحد أعضاء البرلمان الفرنسي ، وهو المسيو  
« فرانسوا دي لونكيل » ، مهمة الدفاع عن القضية الوطنية  
المصرية في فرنسا . وكان « دي لونكيل » قد زار مصر في  
مارس ١٨٩٥ لمقابلة الخديو سرا لهذا الغرض ، وقابله مصطفى  
كامل ، وألقى عدة خطب طعن فيها طعنا شديدا على السياسة  
البريطانية ، لاحتجاج الاحتلال البريطاني ، ثم سافر قاصدا فرنسا  
يوم ١٣ أبريل سنة ١٨٩٥ .

وكانت الخطة أن يسافر مصطفى كامل الى فرنسا ليلحق  
بالمسيو دلونكل ، ويتعاون معه في باريس ، وهو ما حدث  
بالفعل ، اذ سافر مصطفى كامل الى باريس في أوائل الشهر  
التالي ، مايو ١٨٩٥ .

على أن الخلاف لم يلبث أن دب بين مصطفى كامل ، الذي  
كان عمره وقتذاك لا يتجاوز واحدا وعشرين عاما ، وبين النائب  
الفرنسي المحنك ! . ففي حين كان مصطفى كامل يرى أن يقود  
هو الدفاع عن قضية بلاده ، لأن ذلك أكثر تأثيرا على الرأي

العام الفرنسي والأوروبي - كان دلونكل يتخذ من المسألة المصرية سبيلا لمجده الشخصي ! • وهكذا أخذ دلونكل يثير المتاعب في وجه مصطفى كامل ، ليس فقط في الأوساط الفرنسية ، بل في السراى فى مصر لدى الخديو عباس ! •

ومن سوء حظ مصطفى كامل أن الخديو عباس كان يولى « دلونكل » ثقة كبيرة ، ويعتمد عليه اعتمادا مطلقا فى التأثير على السياسة الفرنسية ، وكان سن مصطفى كامل الصغير يحمل الخديو على اتخاذ جانب « دلونكل » ، ولهذا السبب عانى مصطفى كامل معاناة شديدة نلمسها فى خطابه المؤثرة الى عبد الرحيم أحمد ، التى قصد بها أن تعرض على الخديو •

ففى خطابه يوم ٨ يونيو ١٨٩٥ ، وهو أشبه بتقرير شامل ، قصد به أن يعرض « على الأعتاب الشريفة بأول فرصة » ! ، أبلغ مصطفى كامل الخديو أنه قدم لوحة رمزية تمثل مصر ترسف فى قيود الاحتلال ، وتستصرخ فرنسا لتعاونها فى التخلص من الاحتلال - الى رئيس مجلس النواب الفرنسى • وقال انه بعث أيضا لرئيس المجلس كتابا يدعو فيه المجلس لمساعدة مصر •

وقد أوضح مصطفى كامل تأثير هذه اللوحة الرمزية فى الأوساط الفرنسية ، فقال ان « كل الجرائد تقريبا فى باريس والمدائن الأخرى نشرتها • فأحدث نشرها تأثيرا كبيرا بين القوم ،

واعتبر انكل هذا العمل استنجادا بفرنسا لا بد أن تجيب عليه » .  
وقال انه أرسل نسخا من هذه اللوحة لكل النواب وكل  
أعضاء مجلس الشيوخ وكل الوزراء ووكلاء الوزارات في فرنسا  
وانجلترا ، وكل الجرائد ذات الشأن في لندن وباريس والأقاليم  
الفرنسية وسان بطرسبورج » مما زاد العمل أهمية ، وجعل  
التأثير شاملا » .

وقال مصطفى كامل ان الجرائد مستعدة لخدمتنا أحسن  
خدمة ، وقد دعوت الكثير من أصحابها للعشاء معي ، ولاطفتهم  
حتى خلبت عقولهم بحسن الخطاب والاستقبال والاحترام ،  
وكلهم مائلون لمصر .

ثم أوضح مصطفى كامل أن الولايم تكلف مصاريف كثيرة،  
« الا أنى ، مع الحكمة في صرفها ، أراها أنفع ما يصرف » .  
ولايضاح الحقائق أقول لكم ان بعض الجرائد يطمع في الدراهم! .  
وقد لمح لى بذلك بعض أصحاب الجرائد . ولكن ان قضت  
الظروف بشراء بعضها ، فإنها تكون المهمة منها » .

ثم أخذ فى الشكوى من المسيو « دلونكل » ، فذكر أن  
الرجل ، رغم ماله بين اخوانه من منزلة ، ورغم ما يشهدون له  
بالنباهة والاستعداد وقوة الكتابة والخطابة - الا أن للرجل  
عيوبا كما له فضائل ، فمن عيوبه أنه خفيف جدا جدا ! . .



وأضاف ان خفته تضر بنا • « ومثال هذه الخفة أنه يذكر سمو  
العزیز ( أى الخديو عباس الثانى ) فى بعض الأحيان فى وسط  
جمع من أصحابه ، ويقول : « قال لى ! ، وقلت له ! » • وأیضا  
فى مسألة اللوحة ، أظهر لى من خفته ما لم أكن أتنظره من قبل ! •  
فلقد أخرجنى كل هذه المدة وهو يقول لى یومیا : « قدمها  
لرئيس الجمهورية ! » ، ویوما آخر : « ان رئیس الجمهورية  
لا یقبل هدايا الا من الملوك » ! • وفى الختام قال : « قدمها  
اذا لمن تشاء » ! • فقدمتها للمجلس ! • والرجل یحب علو اسمه ،  
ویسعى لذلك ، فتراه لا یسر مطلقا اذا رآنى تعارفت مع أحد ،  
لأنه یرید أن أكون طوع عینیه •

ثم عرض مصطفى كامل على عبد الرحیم أحمد خطته  
السیاسية فى فرنسا ، لیعرضها بدوره على الخديو ، « حتى اذا  
رضى عنها من لا أغفل عن الدعاء له بالدوام فى السفر وبلوغ  
الآمال ، سرت علیها • وان كانت هناك إشارة اتبعتها » •

وكانت نقاط هذه السیاسة تتمثل فى الحملة الاعلامية ، التى  
رأى ان تقوم على نشر الأحادیث فى الصحف ، والقاء الخطب فى  
المنتديات ، ونشر الرسائل المتوالية عن أهم الرسائل المتعلقة  
بمصر ، والتعارف على الشخصیات المهمة ، « واهدائهم الهدایا ،  
ودعوتهم للولائم عند اللزوم » ، والقیام بجولة دعائية فى  
ألمانيا ، « أقدم فیها نسخة من هذه الرسالة الى البرنس

بسمارك ، وأقابله وأسأله آراءه » ! • ثم القيام بجولة دعائية أخرى في سان بطرسبورج في روسيا • وإصدار جريدة أسبوعية بالفرنسية والانجليزية عن مصر • وقد ذكر أنها تحتاج وحدها الى ١٥٠٠ جنيه سنويا •

واختتم خطابه قائلا : « فاعرضوا نص كتابي هذا على كعبة آمالي سيدى الأعلى ( يقصد الخديو ) وأرسلوا الى الرد حالا بأون فرصة • حتى أسير على هذا البروجرام ، ولا يقف لى عمل • وفى الختام أكلفكم تقبيل الأعتاب الشريفة ، دام مجدها أبد الزمان » ! •

على أن الرد وصل الى مصطفى كامل من الخديو عن طريق عبد الرحيم أحمد مخيا لآماله ، ومحدرا تحذيرا شديدا من الخلاف مع « دلونكل » ! • وكان دلونكل بطبيعة الحال قد سبق مصطفى كامل الى الشكوى منه ! • ولذلك جاء فى كتاب عبد الرحيم أحمد اليه قوله : بلغنى أنه وصل من الأخبار قبل ورود جوابكم الأخير ، أنه حصل بينكم وبين المسيو « دلونكل » بعض خلاف فى رأى والاجراء ، فتكدرنا ، ورجونا أن تكونوا دائما على وفاق ووئام معه • ولا أزيدكم علما بما ينتج عن الفشل والاختلاف والتنازع ، فاجتهدوا أن يحسن هو الشهادة فى حقكم ! ، ويشير الى ذلك فى محرراته التى سيرسلها ! • لأن تلك الأخبار أثرت تأثيرا سيئا • فالنصيحة

الصديقة المخلصة من أخيك وصديقكم أن تبادروا بالحصول على تمام الاتفاق مع مسيو « دلونكل » ، حتى يرد منه ما يحو كل ما خالج الصدور ! • لا بد من الاسترشاد بمسيو « دلونكل » ، والرضا بأن يكون له الفضل في ذلك ، وأن يكون هو السبب في التعارف وغيره • أما السياحة في ألمانيا ومقابلة البرنس بسمارك ، فانها تكون مهمة لو وجدتم من يصحبكم فيها من اخوانكم المصريين لتكونوا وفدا ! • وكذلك الشأن في سياحة « سان بطرسبورج » •

على هذا النحو وضع الخديو عباس الثاني مصطفى كامل تحت الوصاية المطلقة للمسيو « دلونكل » ! • وكان على مصطفى كامل أن يقبل هذا الوضع أو يرفض ، ولكن حبه لبلاده ، وشدة ايمانه بالخديو عباس ، دفعاه الى القبول • ففي خطابه الى عبد الرحيم أحمد في ٢٧ يونيو ١٨٩٥ ، قال انه حين تحدث عن المسيو « دلونكل » كان يقول الصدق ، « اذ أن مثلى لا يصح أن يكذب على مولاه ، أو يغير له اعتقادا يعتقده » • ولكن طالما أن الخديو يريد أن تكون العلاقة بيني وبين المسيو دلونكل على هذا النحو ، « فثقوا بأن العلائق بيننا على غاية ما يرام ، وأناى أستشير في كل الأمور ولا أخالف رأيه ، خصوصا وأن رضاء مولاي ربما تغير بتغير العلائق بيننا ! • ورضاء مولاي — كما تعلمون — منتهى رغبتى • فلو أمرنى —



أعز الله شأنه — بأن أذبح خدمة لبلادي ولشخصه الجليل ،  
لما تأخرت • وأكرر لكم أنى لا أسأل سيدى الأعلى ومولاي  
شيئا غير رضائه عنى • فلو علمت بأقل تغيير فى ثقته بى ورضائه  
عنى لاختفيت من على سطح الأرض ، دون أن يعلم لى شأن « ! •

ثم قال مصطفى كامل تلك العبارة المؤثرة التى تبين دوافعه  
فى قبول هذا الوضع ، فقال : « وانى ، على شرف نفسى ،  
أعتبر أن خدمة الأوطان تحتاج لكثير من التعب وتحمل المصاعب  
وملاقة المشاق • فلا بأس بتحمل مر الكلام وغيره خدمة لمصر  
المحبوبة وأميرى العزيز — أعزه الله وحقق له الآمال — فلست أقل  
وطنية من الذين قدموا أنفسهم ضحية لبلادهم » ! •

على أن المتاعب — مع ذلك — لم تترك مصطفى كامل ،  
فى تلك التجربة انفرادية ، بخدم بلاده كما يريد • فمن ناحية  
فإن الرجل « دلونكل » شق عليه أن يهزمه ويسرق الأضواء  
منه شاب صغير لا يتجاوز الواحدة والعشرين من عمره ،  
خصوصا بعد أن ألقى مصطفى كامل أول خطبة سياسية له فى  
أوروبا فى يولية ١٨٩٥ فى مدرج كلية الآداب فى جامعة تولوز ،  
وقوبلت هذه الخطبة بنجاح ساحق • فقد أخذ دلونكل يدس  
لمصطفى كامل ، ويبدل مساعيه لاعادته الى مصر ! •

وهذا ما أثار مصطفى كامل اثارة شديدة • ففى خطابه  
لعبد الرحيم أحمد يوم ٤ أغسطس ١٨٩٥ قال متوجعا :

« وآسفاه عليك يا مصر التعيسة ! » وآسفاه على فتاك  
الذى تغرب عنك لاسعافك ونصرتك ، معتمدا على كل من فى  
قلبه ذرة من الوطنية ، فاذا ما وصل هذه الديار ، وابتدأ فى  
خدمة الأوطان ، قامت هذه الخصوم وبعض الأحياء ، ودست  
له الدسائس ! • أى وطنى يوافق على رجوعى بعد أن صرت  
للانجليز العدو الألد ، والخصم الأشد ؟ • وأى يأس يستولى  
على المصريين الذين لا يعلمون يومئذ حقيقة سبب رجوعى » ! •

ويتضح من خطابات مصطفى كامل أنه وقع فى تلك الفترة  
تحت اعتقادين : الاعتقاد الأول ، أنه قد كرس حياته تماما لمصر ،  
وتخصص فى الدفاع عن قضية مصر ، وأن هذا التخصص سوف  
يغلق فى وجهه باب الدفاع فى قضايا الأفراد ، لأن الأفراد سوف  
يتجنبون اللجوء اليه للدفاع عنهم خوفا من سريان محاربة  
الانجليز له اليهم ! •

ففى خطابه الى عبد الرحيم أحمد يوم ٣١ أغسطس ، الذى  
يهاجم فيه فكرة اعادته الى مصر قال : « اذا عدت الى مصر ،  
ففى أى المحاكم أترافع ؟ ، وأمام من ؟ • من من المصريين يكلفنى  
بالدفاع عنه ، مع علم الناس كافة أن للسياسة على القضاء  
تأثيرا عظيما ؟ • أتعرف ماذا يكون شأنى اذا عدت ؟ • يكون شأن  
محام كلف بالمرافعة فى قضية ، فجاء الى المحكمة ووضع  
محفظته أمام القضاة ، ثم خرج وعاد من حيث أتى • اتنى ذلك

المحامى الذى لا يريد أن يضحك القوم عليه • وخير لى أن أموت  
وأقبر فى مجدى الوطنى عن أن أعود الى مصر فى زمن  
الاحتلال » ! •

أما الاعتقاد الثانى ، فهو أنه سوف يبقى فى أوروبا حتى  
يتحقق جلاء الانجليز عن مصر ! • فلم يكن مصطفى كامل  
يتصور فى ذلك الحين أن الاحتلال البريطانى سوف يدوم  
أربعة وسبعين عاما ! ، لأن شبابه وآماله الوطنية وخبرته المحدودة  
بالشئون الدولية ، جعلته يقع فى وهم أن الاحتلال البريطانى  
يمكن — مع تركيز وتكثيف الحملة الدعائية ضد بريطانيا — أن  
يزول فى أمد وجيز ! •

ففى خطابه لعبد الرحيم أحمد يوم ٨ يونيو ١٨٩٥ قال :  
« أملى ألا يدوم الاحتلال الانكليزى زيادة عن ١٦ شهرا ! ،  
وهو أجل أضربه ، وان كنت ممن لا يجب ضرب الآجال • ولكن  
الحوادث تنبئ أن : من هنا الى ١٦ شهرا يتم كل أمر حسن  
ان شاء الله » ! •

وعلى ذلك فقد دافع مصطفى كامل عن بقاءه فى أوروبا دفاع  
المستमित • بينما كان يدور فى السراى صراع عنيف بين مؤيدى  
عودته ومؤيدى بقاءه ! • وكان الفريق المؤيد لعودته يتكون من  
الفرنسيين فى القصر ، الذين وقفوا بطبيعة الحال الى جانب



« المسيو دلونكل » ، وكانوا يستخفون بمصطفى كامل وما يمكن أن يؤديه ! • كما كان الى جانب هؤلاء الفرنسيين بعض المصريين ، مثل يوسف صديق بك ، وكان قاضيا في المحاكم المختلطة ، ومعاديا للاحتلال ، ولكنه لم يثق كثيرا في مصطفى كامل •

وهذه المجموعة كانت تعيب على مصطفى كامل فرديته ، وعدم ايمانه بالعمل الجماعي ، وفرط ثقته بنفسه ، ومبالغته في وصف تأثير أعماله في رأى العام الأوروبي ، وتخشى أن يترتب على ذلك آثار ضارة بالعمل من أجل القضية المصرية • ولم تكن تخفى رأيها عن مصطفى كامل ، ففي خطابه الى عبد الرحيم أحمد يوم ١٨ سبتمبر عام ١٨٩٥ قال له :

« انظر الى أخينا يوسف بك صديق وما يعمله معي ! • يرسل لى وللهلباوى بك كتابات مظلمة مكدره للغاية ، كلها سب فى وطن على ! • وأنا لم أرض الرد عليه ، لأننى متألم جدا منها ، وربما دفعنى كدرى الى ما يكدره ، وأنا لا أحب ذلك • فهل جزائى على خدمتى لبلادى أن أسب ؟ ، وأن يقول ان أعمالى كلها ضرر فى ضرر على مصر وأميرها ؟ • وليت هذا الفكر فكره ، بل انه رأى الافرنج المتسلطين كما يعلم كل عاقل ! ( يقصد مجموعة القصر ودلونكل ) ! •

ثم يهاجم هذه المجموعة الفرنسية قائلا : « ان فرنساويين

مهما تظاهروا لنا بالولاء ، هم كالانكليز يعملون لمنفعتهم • وهم اذا تقربنا منهم وتحببنا اليهم ، فانما هي سياسة منا قضت بها الأيام ، نستعملها لاستخدامهم ولتغيير عداوتهم بالحب والولاء ، وان يكن وقتيا • فاذا رأى كاتب أو نائب من الفرنسيين ( يقصد دلونكل ) أنى آكتب وأخطب وأؤلف لمصر ، وكان هو من المشتغلين بالمسألة ، الموكلين شهرة أو صيتا ، طار الشرر من عينيه ، وكتب ليوسف صديق مستخفا به وبعقله ، قائلا له : ان مصطفى كامل يضر ! • فيقوم عندئذ يوسف في الحال ويكتب ما يكتب ، ويقول ما يقول • فهل بلغت البساطة منا أن يعتقد بعضنا ( على سلامة النية ) أن الفرنسيين اذا تكلموا عن مصر يكون لكلامهم وقع في نفوس السامعين ، مثلما يتكلم عنها واحد من أبنائها ؟ • ان الفرق جلى بين خدمة المصرى لمصر والفرنساوى لها • فالفرنساوى يدافع عن حقوق فرنسا فى مصر ، وأما المصرى فيدافع عن مصر نفسها » •

على أنه فى مقابل هذه المجموعة التى كانت تحارب مصطفى كامل وتدعو لعودته ، كانت هناك مجموعة أخرى تؤيده وتدافع عنه ، ولكن بشروط • وكان على رأس هذه المجموعة عبد الرحيم أحمد ، الذى كتب الى مصطفى كامل يبدى تقديره لما يقوم به من مناوأة الاحتلال فى الخارج ، ويقول له : « لقد قمت مقاماً أحجم عنه كل مصرى ، وطالبت واستنهضت

الهمم » ، ولكن « هلا طرحت التفاخر جانبا ، واشتغلت في ظل الغير ، حتى تجد من اخوانك من يقتدى بك ، فتقوموا جميعا مطالبين ، ويكون صوتكم حينئذ مسموعا ، واستغاثتكم مجابة ؟ • ربما قلت لى انه يلزم أن يكون المطالب مصريا ! • نعم ، ولكن لا يلزم أن يرفع صوته اذا كان وحيدا ، فيد الله مع الجماعة » •

وواضح أن فرط ثقة مصطفى كامل بنفسه في ذلك الحين كانت تقنعه بقدرته على انجاز كل شيء ! ، بينما كان القصر بفريقيه ، المؤيد والمعارض لمصطفى كامل ، يؤمن بضرورة العمل الجماعى ، الذى يشترك فيه المصرى والفرنسى ، ولا ينفرد فيه مصطفى كامل بالعمل ، بل يسعى لاشراك مصريين آخرين فيه . ولذلك حين عرض مصطفى كامل الذهاب الى ألمانيا ، ومقابلة البرنس بسمارك ، وافق القصر بشرط ألا يكون مصطفى كامل وحده ، بل يكون فى وفد مصرى • ولذلك كتب اليه عبد الرحيم يقول ان هذه الزيارة « تكون مهمة لو وجدتم من يصحبكم فيها من اخوانكم المصريين ، لتكونوا وفدا » • ولكن مصطفى كامل رد بأن خطبته فى ٤ يولية « برهنت للناس كافة أن لهذا العاجز من التروى والحكمة ، ولو أنه فى أزهر الشباب - ما يكفيه للقيام بهذه المهمة الجليلة ، بدون احتياج لأمر زيد أو بكر » ! • فأثبت تمسكه بالعمل الفردى •



وقد تمثلت خطورة رغبة مصطفى كامل في الانفراد بالعمل، في تفور المصريين في أوروبا منه ، وتقولهم عليه عند عودتهم الى مصر ! • ففى خطاب عبد الرحيم أحمد اليه قال : « حضر السواح الذين كانوا بالبلاد الغريبة ، وتفتنوا في أساليب الأخبار ، وبالغوا ، وأقسموا بأنهم شاهدوا وسمعوا وعلموا وقرأوا في الجرائد - قصدا سيئا وغرضا ذميما وأفكارا سافلة ! - وبعضهم شهد ضد ما قالوا ، ولكن وبالأأسف ، قليل ما هم ! •

وقد شعر مصطفى كامل بهذا الانصراف من جانب المصريين في أوروبا عنه ، وبدلاً من أن يدفعه ذلك الى التخفيف من فرديته، التى كان مدفوعاً فيها بتطلع مشروع للزعامة - فانه عزز رأيه وموقفه في الاستئثار بالعمل الوطنى وحصره في شخصه •

ففى خطابه لصديقه فؤاد سليم حجازى في يوم ١٦ يونية ١٨٩٥ ، قال له بصراحة تامة • « انى لا أستطيع الاعتماد على أحد من أبناء جنسى • وانى اذا صودرت ( أى منعت من العمل ) يوماً بأى صورة كانت ، لا أجد من أمتى عضداً أو نصيراً ! • وهذا ما يحزننى كثيراً ، فانى ، مع ارتياحى للمهمة التى عرضت نفسى للقيام بها ، والغرض الشريف السامى الذى أعمل له - أرى أن غيرى من الذين أحب التشبه بهم « كفرانكلين » ( يقصد الزعيم الأمريكى الذى أعلن استقلال أمريكا في ٤ يولية ١٧٧٦ ) وغيره - كان يعمل ووراءه أمة تعزز مطالبه ، وتدافع عنه ، بعكس ما أنا فيه ! • فالذين يقصدوننى ويوافقون على

أعمالى ، انما يقولون بذلك فى مجالسهم الخاصة ، وربما خافوا  
المجاهرة به فى المجالس العامة ، والذين يعترضون على ويطعنون  
بى ، يقولون ذلك جهارا ، فهم لم يتركوا لفظا من ألفاظ القباحة  
والسفاهة الا ذكروه ، ولم يفوتوا صفة من صفات النقائص  
الا نسبوها لشخصى . كل ذلك ولا مدافع عنى . فكأنى بقومى  
وهم ساخطون على ناقمون منى ! •

ونلاحظ أن هذا الخطاب قد كتب بعد شهر واحد فقط من  
سفره الى فرنسا لأداء مهمته ! • ولم يكن قد أنجز فى ذلك الحين  
من الأعمال ما يستحق عليه أية زعامة ! ، اذ لم يفعل غير تقديم  
اللوحة الرمزية لمجلس النواب الفرنسى ! •

وهذا يوضح الأزمة النفسية التى وقع فيها مصطفى كامل  
فى ذلك الحين ، بين احساسه بالزعامة من جهة ، واحساسه  
بأنه لا يلقى التقدير الكافى فى الأمة التى ينتمى اليها من جهة  
أخرى ! • ولم يستطع أن يدرك أن الأمة لا تدين بالزعامة الا لمن  
يستحقها ، وكانت حصيلة مصطفى كامل من الانجازات الوطنية  
فى ذلك الحين تساوى صفرا بالنسبة لما أنجزه فيما بعد •

وهذا — على كل حال — هو السبب فى الخطأ الفادح  
الذى وقع فيه مصطفى كامل فى تلك المرحلة المبكرة جدا من  
كفاحه ، حين تصور أنه لا يلقى ما يستحق من معاضدة

الأمة ! ، فكتب الى صديقه فؤاد سليم حجازى فى ٢٩ أغسطس ١٨٩٥ يقول : « دعنى بالله عليك من هذه الأمة التى بلانى الله بأن أكون واحدا من أبنائها » ! . - ذلك أن الأمة المصرية لم تبخل على مصطفى كامل فيما بعد بالتأييد والحب ، حين أثبت فى نضاله أنه يستحق هذا التأييد والحب ، وتخلى عن فرديته ، واتجه الى العمل الجماعى ، الذى توجه فى عام ١٩٠٧ بتأليف الحزب الوطنى .

على كل حال ، فقد ترتب على هذه الظروف المعقدة بالنسبة لمصطفى كامل فى أوروبا ، وحيرة الخديو عباس فيما ينبغى أن يتخذه من موقف ازاء مصطفى كامل - أن توقف عن ارسال النقود اليه فى باريس ، أملا فى حمته على العودة ، دون أن يطلب منه العودة صراحة ! - الأمر الذى أهاج مصطفى كامل ، وسبب له متاعب كثيرة ، لأن الحملة الدعائية التى كان يقوم بها ، فضلا عن تفقاته فى أوروبا ، كانت تتطلب كثيرا من الأموال . لذلك لم يكف مصطفى كامل فى كل خطاب أرسله لعبد الرحيم أحمد عن الاستصراخ طلبا للمال ! .

ففى خطابه يوم ٣٠ يولية ١٨٩٥ ، نبه عبد الرحيم أحمد بقوله : « يلزمنى أن أخبركم أن ما لدى من المصاريف لا يكفينى الا لغاية سبتمبر . ولعلكم تعذرونى على صرف ما صرف ، فان كل شىء كان فى محله . ومن مركزه مركزى لا بد له من الصرف



الكثير • على أنى أستعمل الاعتدال دائما ، وأخاف أن ينسب  
الى تبذير • فأرجوكم اخبار مولاي بذلك عند عودته : وفيدونى  
عن رأيكم بهذا الخصوص •

وفى خطابه يوم ٤ أغسطس - أى بعد خمسة أيام - كتب  
الى عبد الرحيم أحمد يقول : « أخبرتكم فى خطابى الذى  
أرسلته من فيينا أن ما لدى من النقود لا يكفينى الا لآخر  
سبتمبر • ولعلكم لا تستغربوا من ذلك ، وأتم تعلمون أنى  
أصرف كثيرا جدا فى الولائم الخصوصية والهدايا ، وهما العاملان  
الوحيدان فى جلب الكتاب الينا • فيدونى عن رأيكم الخاص فى  
مسألة مصاريفى » •

ويبدو أن عبد الرحيم أحمد كتب اليه عن استعداد بعض  
الأغنياء للتبرع ، فقد رد عليه مصطفى كامل مرحبا بقوله :  
« يسرنى كثيرا ما قلته لى من أن بعض الناس مستعد للمساعدة  
المادية • فياحبذا لو قام أفراد الأغنياء بالمساعدة ، وخففوا عن  
مولانا - أعزه الله - ما يصرفه من المصاريف الطائلة ، التى  
ستثمر قريبا ان شاء الله تعالى » •

وفى ١٥ أغسطس ١٨٩٥ كتب الى عبد الرحيم أحمد يقول :  
« لا يخفاكم أن المال هو أساس الأعمال • وأنت وحدك تعلم  
أن المبلغ الذى سلمته لى لا يكفى الا لهذه المدة ، وما كان من

الأعمال وما يكون في هذا الشهر والشهر الآتى ، فقدنى  
وساعدنى » ! • ثم ألحق هذا الخطاب بخطاب آخر يوم  
٢٣ أغسطس قال فيه « انى فى حاجة الى المادة كما أسلفت لك  
ذكر • ويخجلنى تكراره » •

وفى يوم ٣١ أغسطس ١٨٩٥ كتب الى عبد الرحيم أحمد  
يقول : « انى شاعر كل الشعور بخطارة ( خطورة ) المهمة التى  
أخذتها على عاتقى ، والتى كنت أحلم بها فى مصر قبل استلام  
زمامها ، وأتمناها آناء الليل وأطراف النهار ، والتى نلتها والفضل  
عائد على سيدى الأعلى ، الذى أولانى أشرف الشرف ، حيث  
جعلنى محل ثقته فى مثل هذا المشروع الجليل » • ثم يقول :  
« انت لم تكلمنى عن شىء أخبرتك عنه ، وقلت لك : ان المادة  
على وشك الانتهاء » •

وفى ١٤ سبتمبر ١٨٩٥ كتب الى عبد الرحيم أحمد يلح  
عليه فى هذا الصدد ، ويقول : « أرجوكم ألا تقصروا فى ابلاغ  
مولاي وولى نعمتى أن ما لدى من المادة نقد ، ويلزم ارسال  
ما يأمر به المولى حالا ، حتى لا أبيت فى بلبال بهذا الخصوص » •

ثم ألحق هذا الخطاب بخطاب آخر يوم ١٨ سبتمبر ، قال  
فيه : « لعلكم تكونوا بلغتكم السيد العزيز ( الخديو ) أن المادة  
نفدت كلها ، وانى فى حاجة الى غيرها • وعسى الأمر يكون قد  
صدر لكم وأجريتكم اللازم • فيدونا على أى حال » •

على أن الخديو عباس الثانى صم أذنيه عن سماع هذه النداءات ، على أمل أن يئأس مصطفى كامل ، ويعود الى مصر! . فقد كان قصارى ما وعد عبد الرحيم أحمد مصطفى كامل به ، هو اقناع الخديو بأن يرسل له ما يكفى نفقاته لا غير ! . أو على حد قوله : « أكتب اليك هذا ، وأنا مؤمل أن أتحصل على مطلق شيء ، ولو ما يقوم بمعيشتك لا غير ، حتى تستتب الأمور ! » .

وفى الوقت نفسه أعفى الخديو مصطفى كامل من مهمته ! وهو أمر طبيعى طالما أنه كف عن ارسال الأموال اليه ! . وكان الحل الوسط الذى توصل اليه عبد الرحيم أحمد مع الخديو أن يكف مصطفى كامل عن العمل باسم الخديو ، ويبقى فى باريس كما يشاء تحت أية صفة أخرى كأن يكون طالبا ! .

فقد كتب اليه يقول « أرى ، وربما وافقتنى على هذا رأى ، أن تشيع أنك تريد تحصيل شهادة الدكتوراه فى علم الحقوق ، أو شهادة من مدرسة العلوم السياسية ، لتدفع بذلك ما تجاسر بعض الناس على النصيح به من عودتك والاكتفاء بما سبق ! . فالأولى أن تقف الآن لحظة ترتقب الفرصة ، وتظهر أنك تشتغل بتحصيل العلوم .. والمظنون أن أصل الى تعيين مبلغ يرسل اليك شهريا ، يقوم بمعاشك مؤقتا ، حتى



تلوح الفرصة ، ويتمكن أخوك من اجراء ما يلزم لعود الأمور الى ما كانت عليه » •

وواضح أن هناك أسباب أخرى ، دعت الخديو عباس لاتخاذ هذا الموقف • أولها ، تحرك السلطات الانجليزية في مصر لمضايقة الخديو ، بسبب الدعاية التي يقودها في الخارج ضد بريطانيا من خلال وكلائه الفرنسيين ومصطفى كامل • ففي خطاب عبد الرحيم أحمد السالف الذكر الى مصطفى كامل كتب يقول : « بدأت المناورات العدائية هنا ، فجردوا عساكر البوليس من السلاح والخرطوش ، أما الجيش فهو مجرد منها من زمن بعيد ! ، ولحقت بهذه الديار تهديدات ثورة الأرمن وخلافها ، والظاهر أنهم يريدون بنا سوءا » ! •

أما السبب الثاني ، فلعله خوف عباس الثاني من الزعامة التي يسعى اليها مصطفى كامل ! • لأنها اذا تحققت ، فسوف تكون زعامة شعبية تكسف زعامته الملكية ، وتوقعه في نفس المأزق الذي وقع فيه والده في أثناء زعامة عرابي ! • ويصبح كالمستجير من الرمضاء بالنار ! • ولا تنسى أن كلا من عباس حلمي ومصطفى كامل كانا في عمر واحد ، فكلاهما ولد في عام ١٨٧٤ ، وكلاهما يحركه طموح شخصي يختلط بعمله الوطني ! •

على أن مصطفى كامل رفض الدخول في القمقم الذي أخرجه منه عباس الثانى ! • وإذا كان الخديو عباس قد منع عنه المال ، فقد أخذ مصطفى كامل بطلبه من جهات وطنية صديقة أخرى لم تبخل بدفعه •

وهذا ما تكشفه خطابات مصطفى كامل لصديقه فؤاد سليم الحجازى • فقد أرسل اليه يطلب منه أن يرسل اليه بعض المال • وفى يوم ١٦ أكتوبر ١٨٩٥ كتب اليه نافذ الصبر يستعجله فى ارسال المال بقوله : « انى مندهش جدا حيث أنه لم يصلنى منك لا برقية ولا نقود » ! • ثم أعلن اليه أنه فقد ثقته فى الخديو قائلاً : « انتى حالياً يائس من واحد ، هو الخديو ! • ان مقدار ما بعثه لى يكفى فقط لأسدد نفقات الفندق » ! • ثم أبلغ مصطفى كامل صديقه بقراره عدم العودة الى مصر : « انتى صممت على عدم رجوعى الى مصر ، لأن وجودى فى فرنسا مهم جداً للقضية التى كرسى لها نفسى جسداً وروحاً • لقد قررت الا أعود الى مصر الا اذا يئست من معاونة الوطنيين » •

ثم سأل مصطفى كامل صديقه فؤاد سليم قائلاً : « أليس فى استطاعة والدك والهلأوى ومحمود سالم ، أن يرسلوا لى سنوياً ٤٠٠ جنيه ، ما داموا يعتبرون أنفسهم وطنيين ويقدرّون جهودى الوطنية ؟ • وإذا كانوا غير قادرين على مساعدتى ، فانى

سأعود الى مصر يائسا فاقد الأمل ، ليس من أجل الجلاء  
فحسب ، بل من أجل مستقبل الأمة المصرية . بلغ والدك أنى ،  
باسم الوطن المقدس ، وليس باسم الصداقة - أتمس منه هو  
وحده أن يرسل لى مبلغ ١٥٠ جنيها هذا الشهر ، لهذه السنة  
كلها ، ولن أطلب منه شيئا بعد ذلك . وفى السنة المقبلة سوف  
أدبر أمرى ، فوالدك يدفع ١٥٠ جنيها ، والهلباوى ١٥٠ جنيها ،  
ومحمود سالم ١٠٠ جنيه . ان ٤٠٠ جنيه من هؤلاء الوطنيين  
الثلاثة ستكون لها قيمة كبيرة عندى أكبر من نقود عباس » .

على أن فؤاد سليم رد عليه بأن أنصار الاحتلال استطاعوا  
أن يَحمَدُوا صوت الشعب « مما لا يرجى منه أية مساعدة له » ! .  
وقد رد عليه مصطفى كامل غاضبا : « تقول انه لا يوجد فى مصر  
شعب جرىء قادر على مساندتى ! . ولكن أيها البائس ، ان  
والدك وأصدقاءه هم جزء من هذا الشعب ! . كفاك هزلا ،  
انى أرى أنكم وطنيون عندما يكون الخديو وطنيا ، ولستم  
وطنيين عندما يكون العكس ! . انى لن أغادر أوروبا ، لا فى خلال  
هذا الشهر ، ولا فى الشهر القادم ، وانى أنوى الإقامة فيها » ! .

على أن الخديو حين رأى أن امتناعه عن ارسال المسال الى  
مصطفى كامل لم يجبره على العودة ، أرسل اليه أمرا صريحا على  
يد « جافيو » بالعودة ! . ولكن مصطفى ترمد على هذا الأمر،  
وبقى الى نهاية العام ! .



على أن مهمته كانت قد أصبحت مشلولة بالفعل • فالعمل الاعلامى يحتاج الى أموال وسفر وإقامة مآدب وحفلات ، وهو ما عبر عنه مصطفى كامل بقوله : « المال هو أساس الأعمال » ! • وكان ما يرسله له الخديو يكفى بالكاد لسداد نفقات الفندق فقط ! • وبذلك تضائل عمل مصطفى كامل فى أوروبا ، وزال عنه بريق المآدب والحفلات ، كما لم يعد يملك ما يدفعه من مرتب للسكرتير الذى اتخذه ، والذى كان يتقاضى شهريا مائتى فرنك ! • واتهى تقريبا كل نشاط مصطفى كامل لمدة ثلاثة أشهر ( من سبتمبر الى ديسمبر ١٨٩٥ ) ، فيما عدا خطبة ألقاها فى الجمعية الجغرافية بباريس يوم ١١ ديسمبر • وان كان قد كسب فى تلك الفترة التعرف على مدام جوليت آدم ، الكاتبة الفرنسية المشهورة التى كانت تبلغ الستين عاما ، وكسب تعاضدها للقضية المصرية •

وهكذا اضطر مصطفى كامل الى العودة الى مصر فى ٩ يناير ١٨٩٦ ، بعد أن أثار انتباه بعض جوانب رأى العام فى بعض البلاد الأوربية الى المسألة المصرية التى كانت قد أخذت تنزوى فى ركن مظلم بعد الاحتلال • فبالإضافة الى أحاديثه فى الصحف الفرنسية ، وخطبته فى كلية الآداب بجامعة تولوز ، والجمعية الجغرافية بباريس ، واتصالاته — فقد نشر كتابا باللغة الفرنسية بعنوان « أخطار الاحتلال البريطانى » ، أوضح فيه

بذكاء أن بقاء الاحتلال البريطاني لمصر لا يهدد مصالح مصر وحدها ، بل يهدد المصالح الأوروبية في أوروبا وفي مستعمراتها الأفريقية باخلال التوازن في البحر المتوسط ، وسيطرة إنجلترا على قناة السويس . وبطبيعة الحال فإن مصطفى كامل لم ينبه أوروبا الى خطر تجهله ، وانما كان يناشدها باسم الأخطار المشتركة مساعدة مصر على طرد الاحتلال .

وقد كانت المشكلة التي واجهها مصطفى كامل بعد عودته الى مصر هي علاقته بالخديو عباس ، التي تأثرت بكل ما حدث في خلال الأشهر التي قضاها في باريس وتمرده على العودة .

وقد أخذ مصطفى كامل على الفور في محاولة حل هذه المشكلة . فلم يكد يصل الى مصر ، حتى كتب الى الخديو خطابا مباشرا في يوم ١٦ يناير ١٨٩٦ ( أى بعد أسبوع واحد من عودته ) قصد به — على حد قوله : « شرح الأسباب التي أخرت حضوري من شهر أكتوبر الى الآن ، عساني أستعيد ثقة سموكم ، التي تريد فئة من أدعياء الوطنية سلبها مني ، وما هي عاملة الا ضد الوطن نفسه » .

وفي هذا الخطاب تذرع مصطفى كامل — بذكاء — في رفضه العودة الى مصر ، بمصلحة الخديو عباس نفسه ! . فقال : « ما وصلني نبأ الأمر الكريم بالعودة الى الأوطان ، الا وشعرت

بأنه مسبب عن تهديد انكليزى ! • فرأيت من الحكمة أن أؤخر عودتى ، صيانة لكرامة سموكم ، إذ أنى إذا كنت عدت حينذاك ، كان تحقق الانكليز من أنى مرسل فى أوروبا من قبل جنابكم « ! • ثم وصف خصومه من رجال الخديو بأنهم « أشد بلاء على مصر من الانكليز أنفسهم » ! •

على أن الخديو لم يرد على مصطفى كامل ! • مما دفعه الى الكتابة الى عبد الرحيم أحمد فى ٢٥ يناير ١٨٩٦ يطلب اليه أن يحدد له « مقابلة مخصوصة » مع الخديو « أنفى فيها عن نفسى ما نسبته ذوو الأغراض لى ، ولكى أعلم إذا كان سموه لا يريد نهائيا مساعدتى فى خدمة بلادى ، حتى يتيسر لى عندئذ أن أعمل ما أريد فى مصر ، أو خارجا عنها ، عاجلا أو آجلا » ! •

وعندما استمر الخديو فى تجاهل مصطفى كامل ، كتب الى عبد الرحيم أحمد خطابا مرة أخرى فى ١١ فبراير ١٨٩٦ ، هدد فيه بأنه إذا لم يحدد له الخديو مقابلة « هذا الأسبوع ، فانى أحمل كل هذا التأخير على عدم حاجتكم الى خدماتى ، وأظنكم لا تلومونى إذا عملت من أول الأسبوع الآتى بغير استئذانكم أو انتظار تبليغاتكم » ! •

ثم ألقى مصطفى كامل بقنبلة يوم ١٩ فبراير حين كتب الى عبد الرحيم أحمد خطابا أعلن فيه - حسب قوله - « أنى عزمت



عزما نهائيا على مبارحة الوطن المحبوب الأسبوع القادم .  
وأرجوكم أن ترفعوا ذلك النبا الى مولاي أعزه الله . وما يحملنى  
على تعجيل السفر غير اعراض الأمير الجليل عنى . فلقد مضى  
على فى مصر أربعون يوما وأنا أتنظر الأمر العالى بتشرفى بمقابلة  
العزیز حفظه الله ، والى الآن لم يتكرم بهذه المنحة لأعرض له  
صدقى لجنابه وخيانة غيرى الخيانة العلیمة . وعلى أى حال فانى  
مبارح الأوطان غير نادم على ما كان ، بل متخذا كل ما رأيته  
وعلمته دروسا لى أستفيد منها فى المستقبل . فشرفونى قبل يوم  
الأحد ، لأنى مبارح القاهرة مساء الأحد الآتى ان شاء الله ! .

وما حدث بعد هذا التهديد ، لا توجد وثائق مكتوبة  
توضحه ، ولكننا تفاجأ بمصطفى كامل يلقي خطابا وطنيا فى مدينة  
الاسكندرية يوم ٣ مارس ١٨٩٦ - أى بعد أيام قلائل من اليوم  
الذى حدده للسفر الى أوروبا ! . ومعنى ذلك بصورة حاسمة  
عودة الحياة الى مجاريها بينه وبين الخديو ، وتلقيه أمرا بالبقاء  
فى مصر .

وهنا يثور السؤال : ما الذى دعا الخديو عباس الثانى الى  
الانصياع لتهديد مصطفى كامل ؟ .

هناك سببان مطروحان : الأول ، حاجة الخديو الى  
مصطفى كامل فى صراعه مع الانجليز . خاصة بعد ما أثبت

مصطفى كامل من كفاءة في العمل السياسي • والثاني ، خشية الخديو عباس حلمي من مصطفى كامل ، بعد أن أثبت له أنه يستطيع مخالفته وعدم اطاعة أوامره والتمرد على تعليماته عند اللزوم ! •

وفي الحقيقة أن هناك سببا آخر أشعر الخديو عباس بأن مصطفى كامل يمكن أن يكون حربا عليه عند اللزوم ، ويفتح عليه جبهة ثانية • فعندما كان مصطفى كامل في أوروبا ، وحين أحس بتزايد الدسائس في القصر ضده ، أعلن ولاءه للسلطان العثماني الذي هو صاحب السيادة على مصر • فقد كتب الى عبد الرحيم أحمد يوم ٣٠ يولية ١٨٩٥ يخطر به بأنه في عزمه « عقد حفلة مصرية • حفلة في ٣١ أغسطس الآتي ، بمناسبة عيد جلالة السلطان ، حتى لا يقال ان سياستي حادت عن السياسة العثمانية ، بل انها مصرية تركية » • وفي الحفل الذي أقامه أعلن « أن الراية العثمانية هي الراية الوحيدة التي يجب أن نجتمع حولها » ! •

وقد استحق مصطفى كامل بهذا الاحتفال رضا السلطان العثماني ، حتى انه تلقى خطابا من سفير الدولة العثمانية يبلغه فيه رسميا « امتنان الحضرة السلطانية الامتنان العالي » • وقد نشر نص هذا الخطاب في الصحف بعد أن أرسله مصطفى كامل اليها ، وكتب به فخورا الى عبد الرحيم أحمد ! • ولكن هذا

العمل لم يلق ارتياحا من القصر في مصر ، خاصة أنه حدث  
ومصطفى كامل يشكو من نفاد المال ويطلب غيره ! • وقد رد  
مصطفى كامل على ذلك في خطابه لعبد الرحيم أحمد يوم  
١٨ سبتمبر ١٨٩٥ بقوله : « ومما يلومنى عليه ، وليمة السلطان ،  
وكون الناس تتساءل : من أين أصرف هنا ؟ • ولم اللوم على  
وليمة السلطان وقد عقدت مثلها السنة الماضية ، وصرفت عين  
المصاريف ؟ » •

وعلى ذلك فقد كان على عباس حلمي إنهاء مقاطعته  
لمصطفى كامل ، ولكن على أساس جديد هو العمل في مصر لا في  
أوروبا ! • وهذا هو السبب في هذا التحول الفجائي في خطة  
مصطفى كامل ، التي قامت حتى لحظة عودته الى مصر ، على أن  
ميدان العمل ضد انجلترا هو في أوروبا لا في مصر • بدليل  
معارضته في عودته الى مصر الى حد التمرد ، وعدم اطاعة أوامر  
الخديو ! • بل انه كتب الى الخديو يوم ١٦ سبتمبر ١٨٩٥ يقول:  
« ان وطنيتى وحبى للأمر يقضيان على أن أرفض رفضا قطعيا  
العودة الى مصر ، ما دام الانكليز فيها » ! •

وفيما يبدو أن الخديو عباس أقنع مصطفى كامل بأن أى  
عمل في أوروبا ، اذا لم يستند الى قوة الراى العام في مصر ،  
فلن يقدر له النجاح ، وأن هذا هو سبب الالحاق عليه في  
عودته الى مصر •



وفي هذا الضوء تعد خطبة مصطفى كامل في المسرح العباسي في الاسكندرية يوم ٣ مارس ١٨٩٦ ، بداية تحول هام في العمل الوطني ، وهي ليست بعيدة الصلة عن نشاط الخديو ، لأن اسماعيل بك الشيمى ، الذى نظم هذه الحفلة ، والذى أقام عنده مصطفى كامل بالاسكندرية ، كان ياور الخديو ! • وان كانت قناعة مصطفى كامل بالدور الأوروبى فى حمل انجلترا على الجلاء لم تزل تملك عليه عقله ، بدليل أنه ألقى خطبته الثانية فى مسرح زيزينيا بالاسكندرية بعد أربعين يوما - أى فى يوم ١٣ أبريل ١٨٩٦ - باللغة الفرنسية لا العربية ! ، وألقاها على الأوربيين المقيمين فى مصر •

على أنه فى نفس هذا العام ١٨٩٦ كانت محاولات الخديو عباس لتجميع قوة وطنية ، تعمل مع مصطفى كامل فى خدمة القضية الوطنية ، تتكلل بالنجاح بتأليف جمعية سرية تحت رئاسة الخديو ! وكانت الظروف قد تهيأت لذلك حين ألف أحمد لطفى السيد ، الذى كان قد عين وكيلا للنياحة فى ذلك العام ، جمعية سرية من زملائه ، غرضها - كما يقول - « تحرير مصر » • وقد ضمت هذه الجمعية ، فىمن ضمت ، عبد العزيز فهمى وأحمد طلعت رئيس النياحة •

ولم يخف تأليف هذه الجمعية عن الخديو ، فيذكر أحمد لطفى السيد أنه « ذات يوم ، كنت بالقاهرة بعد تأليف تلك الجمعية ، فالتقيت بمصطفى كامل ، فقال لى : ان الخديو

عباس يعلم كل شيء عن جمعيتكم السرية وأغراضها ، وأظن أنه لا تنافى بينها وبين أن تشرك معنا في تأليف حزب وطنى تحت رئاسة الخديو » ! • فأجبتة : « لا مانع عندى من ذلك » •

ثم يقول أحمد لطفى السيد ان مصطفى كامل « أبلغ الخديو هذا القول ، وأستاذن لى فى مقابلة سموه • وذهبت اليه، فتحدث معى سموه عن أغراض الحزب الذى يريد تأليفه • وبعد ما خرجت من مقابلة الخديو عباس ، اجتمعت أنا ومصطفى كامل وبعض زملائنا فى منزل محمد فريد ، وألفنا الحزب الوطنى كجمعية سرية رئيسها الخديو ، وأعضاؤها مصطفى كامل ومحمد فريد ، وسعيد الشيمى ياور الخديو ، ومحمد عثمان ( والد أمين عثمان باشا ) ، وليب محرم ( شقيق عثمان محرم باشا ) • وأنا » - أى أحمد لطفى السيد •

وهذا الحزب الوطنى ، الذى يتحدث عنه أحمد لطفى السيد ، غير الحزب الوطنى الذى ألفه مصطفى كامل فى عام ١٩٠٧ • فالأول جمعية سرية تحت رئاسة الخديو ، وكان يجتمع بها ليلا فى مسجد « بناحية سراى القبة » - والثانى هو الحزب الوطنى الذى ألفه مصطفى كامل فى ظروف مختلفة • ويقول أحمد لطفى السيد ان أسماء أعضاء هذه الجمعية السرية كانت مستعارة ، فقد كان اسم الخديو بين الأعضاء ، « الشيخ » ، ومصطفى كامل « أبو الفداء » ، وأحمد لطفى السيد « أبو مسلم » ! •

وقد كانت فكرة الخديو هي انشاء جريدة في مصر تقاوم الاحتلال البريطاني . وحتى تكون غير خاضعة لسلطة الاحتلال ، فقد رأى الخديو أن يسافر لطفى السيد الى سويسرة للتجنس بالجنسية السويسرية ، حتى يتمتع بالامتيازات الأجنبية ، ويعود ليصدر الجريدة . فسافر فعلا الى جنيف ، ولكن اتصالاته بالشيخ محمد عبده هناك أغضبت الخديو منه ، لأنه لم يكن يميل الى الشيخ محمد عبده . ولذلك يذكر أنه عندما عاد الى مصر « جاءنى مصطفى كامل ، وأفضى الى بأن الخديو مغضب منى لأسباب منها اتصالى بالشيخ عبده » ! . ثم قال مصطفى كامل : « ومع ذلك لم تنجح فى الحصول على موافقة الباب العالى على تجنسك بالجنسية السويسرية » .

فى ذلك الحين كانت الصيغة التى تم الاتفاق عليها بين الخديو ومصطفى كامل هى الجمع بين العمل الوطنى فى الداخل وفى الخارج ، لأن مصطفى كامل لم يلبث أن سافر الى أوروبا فى أول أغسطس ١٨٩٦ ، وهو سفر ليس بعيدا عن نشاط الخديو ، لأن جريدة المؤيد للشيخ على يوسف ، الوثيق الصلة بعباس الثانى ، نوهت بسفر مصطفى كامل فى عددها الصادر فى ٢ أغسطس ١٨٩٦ قائلة : « كان من جملة الذين بارحوا ثغر الاسكندرية أمس الى أوروبا ، حضرة الكاتب الفاضل والخطيب



الوطني البليغ مصطفى أفندي كامل ، فودعه على ظهر البحر كثير من أصدقائه وأخوانه » ! •

وقد تمثل نشاط مصطفى كامل في تلك الرحلة ، التي استغرقت ثلاثة أشهر ، ( من أول أغسطس الى ١١ نوفمبر ١٨٩٦ ) في الأحاديث التي أدلى بها في الصحف في باريس وبرلين وفيينا ، التي عبر فيها عن كراهية الشعب المصري للاحتلال ، وهاجم فيها بريطانيا لرفضها الجلاء ، وأكد حق مصر في الاستقلال : ودعا « كل ذوى الضمائر الحرة من جميع الأمم لانقاذ مصر » • كما قابل بعض رجال السياسة في ألمانيا والنمسا لشرح لهم فيها المسألة المصرية • كما استغل بذلك ثورة الصحافة الأوروبية على الدولة العثمانية بسبب مذابح الأرمن ، فكتب الى المستر جلادستون يلومه لأنه يكيل بمكيالين ، فيدافع عن الأرمن ، ويسكت على الاحتلال البريطاني لمصر ! •

ولكن أهم ما فعله في تلك الرحلة هو ذهابه الى الآستانة في ٢٧ نوفمبر ١٨٩٦ • ولما كان في العام السابق قد احتفل بعيد السلطان العثماني ، وأعلن في الاحتفال أن الراية العثمانية هي الراية التي يجب أن يجتمع حولها المصريون - فلذلك لقي حفاوة كبيرة ، وقابله السلطان العثماني بعد ثلاثة أيام ، ليعرب له عن إعجابه به وحسن تمنياته ، وأهداه هدية ثمينة هي علبة

سجاير من الذهب مرصعة بالماس والأحجار الكريمة داخل صندوق صغير من الذهب والفضة .

ومن الطريف أن السلطان العثماني أبدى رغبته في منح مصطفى كامل رتبة أوشانا ، ولكنه اعتذر ، حتى لا يتهم من قبل خصومه في مصر بسعيه الى الألقاب والنياشين ! . فلما عاد الى مصر لأمه أصدقاؤه على عدم القبول ، لأن الألقاب في مصر والشرق تعظم من شأن الرجل وتعلو من قدره ، وتساعد على الظهور في قومه . وقد اقتنع مصطفى كامل بهذا المنطق ، وقبل من السلطان في ١٨٩٩ رتبة البكوية ، وفي عام ١٩٠٤ رتبة الباشوية .

وقد عاد مصطفى كامل الى مصر ١٨٩٧ ليواجه مؤامرات الاحتلال . نظرا لأنه بلغ سن الثانية والعشرين من عمره ، فقد أوعزت السلطات البريطانية الى مجلس قرعة القاهرة بطلبه للتجنيد في غيابه ! فطلب المجلس من مأمور قسم الخليفة ، الذي كان مصطفى كامل يتبع له ، تبليغ اعلان الاقتراع لأحد أفراد بيته ، فاذا مضت ثلاثة أشهر على الاعلان دون معارضة، يصبح تجنيده واجبا . وهكذا فوجيء مصطفى كامل عند دعوته باعلان القسم بوجوب تجنيده ، لعدم اعتراضه على الاعلان الأول ! . ولكنه تمكن من الحصول على اقرار من شيخ الحارة يفيد أنه لم يسلم هذا الاعلان الأول لذويه . ولما كانت قوانين

البلاد تستثنى من القرعة حملة شهادة الحقوق والقادرين على دفع  
البدل ، فلذلك عجزت السلطة البريطانية عن تحقيق أغراضها في  
اتزاع مصطفى كامل من مهمته الوطنية التي جند نفسه لأجلها ،  
وتجنيده كنفر تحت سلطة ضباطها البريطانيين ! •

وفي السنتين التاليتين ١٨٩٧ ، ١٨٩٨ ، كثف مصطفى كامل  
من حملاته الدعائية ضد الاحتلال في أوروبا • فقد سافر الى  
أوروبا مرتين في عام ١٨٩٧ ، الأولى من ١٢ مارس الى ١٢ مايو ،  
وقد زار فيها فيينا وبوخارست وبرلين وباريس ، والثانية  
من ٢٦ يونية الى ١٠ أكتوبر ، وقد زار فيها الآستانة وبودابست  
وفيينا وباريس • وفي عام ١٨٩٨ زار أوروبا في الفترة من  
٢٤ يونية الى ١٨ سبتمبر وزار فيها باريس وبرلين •

وكان مصطفى كامل يحصل على بعض نفقات هذه الرحلات  
من صديقه محمد فريد ، كما يفهم من خطاباتة اليه ! • ففي يوم  
٢٢ يوليو ١٨٩٨ أرسل اليه من باريس يقول : « أرجوك غاية  
الرجاء أن ترسل لي يوم وصول هذا خمسمائة فرنك بالتلغراف  
بواسطة الكريدى ليونيه • لاعدمتك أخا وفيما » • وفي  
١٩ أغسطس كتب اليه من باريس يقول : « أظن أنني أسافر  
لبرلين يوم السبت أو الأحد القادم ، وأمل في همتك العالية  
ووفائك أنك ترسل لي تلغرافيا يوم السبت صباحا



( ٢٧ أغسطس ) بواسطة الكريدى ليونيه ألف فرنك ، ولو كلفك  
مهما كلفك ، حتى لا أضع نفسى فى موقف حرج » •

— أما فيما يختص ببقية المساعدات المالية فكان يأخذها —  
كما يقول محمد فريد فى مذكراته — من الخديو أو من السلطان  
عبد الحميد ! •

ومعنى هذا الكلام أن مصطفى كامل كان حتى ذلك الحين  
يؤمن بأن العمل فى أوروبا هو الكفيل بإجبار انجلترا على الجلاء  
عن مصر ! •

وفى الحقيقة أنه كان لدى مصطفى كامل والخديو  
عباس الثانى فى ذلك الحين ما يدعوها الى الأمل فى تدخل فرنسا  
لصالح مصر سريعا • ففى ذلك الوقت كان التنافس الاستعمارى  
بين فرنسا وانجلترا فى قلب افريقيا على أشده ، وكان الصراع  
على اقتسام مناطق النفوذ فى السودان قد بلغ ذروته • وقد  
فكرت فرنسا فى استغلال المسألة المصرية لانتزاع مركز هام فى  
أعالى النيل ، تصد به تيار الزحف الانجليزى فى باطن افريقية ،  
وتفتح باب المسألة المصرية على مصراعيه ، وتجبر انجلترا على  
تنفيذ عهودها فى الجلاء عن مصر • ولتنفيذ هذه الاغراض  
أعدت حملة عسكرية بقيادة الكابتن مارشان لاحتلال فاشودة  
الواقعة على النيل •

وقد استطاع الناسة الفرنسيون اقناع الخديو ومصطفى كامل ومن يلتف حولهما من المصريين ، بأن حملة مارشان هي الحاملة لراية استقلال مصر ! • فصاروا — كما كتبت مدام جوليت آدم فيما بعد — « يعتقدون أن تحرير وطنهم سيأتى من السودان » على يد فرنسا •

وهذا يفسر الخطاب الذى بعث به مصطفى كامل الى محمد فريد يوم ٥ أغسطس ١٨٩٨ من باريس • فقد كتب يقول : « شرف العزيز ( أى الخديو ) وسافر ! • وتشرفت بمقابلته جملة مرات — وهذا الخبر لك وحدك ! • وعلمت منه أموراً جمة سرتنى للغاية ( يقصد أخبار حملة مارشان الفرنسية ) وشرحت صدرى وحققت لى أن الأمل ملء فؤاده ، وأن ليس لليأس عليه سلطان • وسأقابله مرة أخرى فى الشهر الآتى • وقد قابل هنا وهناك كل ذى شأن وكل عظيم ، واستمال من لا يستمال • فله منا الود والاخلاص والحب الحقيقى ، وانه لجدير بأن تتفانى فى محبته • ولم أكلفه مدة وجوده ، ولم أطلب منه شيئاً ، ولو أن سفرى لألمانيا سيكلفنى كثيراً ، وذلك لأنى لا أود أن أجعله يرتاب فى اخلاصى الخالص له • وسأبذل جهودى بعد عودتى للوطن المحبوب فى أن أكون مستقلاً غاية الاستقلال ، لنزداد عنده مكانة ونفوزاً » •

على أن انجلترا انتهزت فرصة حملة مارشان ، لتقلب

المائدة على رأس فرنسا ومن يعلقون عليها الآمال ! • فحين  
أحتل مارشان فاشودة يوم ١٠ يولية ١٨٩٨ ، تظاهرت انجلترا  
بالدفاع عن حق مصر فيها ، واحتجت باسم مصر على فرنسا  
باعتبار فاشودة أرضا مصرية • ثم أعد اللورد كتشنر ، سردار  
الجيش المصرى ، حملة مكونة من ١٨٠٠ مصرى ومائة جندى  
بريطانى ، وصلت الى فاشودة فى سبتمبر ١٨٩٨ ، وأبلغ مارشان  
أن رفعه العلم الفرنسى « على أملاك سمو الخديو » يعد انتهاكا  
لحقوق مصر ! • وهنا توترت العلاقات بين فرنسا وانجلترا الى  
الحد الذى هدد بقيام الحرب بينهما • ولكن فرنسا تخاذلت ،  
وأمرت مارشان بالجلاء عن فاشودة • وهو ما تم يوم  
١١ ديسمبر ١٨٩٨ •

وقد كان من الطبيعى أن تمثل حادثة فاشودة ضربة قاسية  
لكل الوطنيين الذين كانوا يعلقون الآمال على فرنسا ، وعلى  
رأسهم مصطفى كامل والخديو عباس ! • وان اختلف رد الفعل  
عند كل منهما •

ففيما يتصل بالخديو عباس ، فقد أخذ منذ ذلك الحين  
يتجنب الدخول فى أزمت بينه وبين بريطانيا ، قد تعرض عرشه  
للخطر ، فلا يجد معينا من أوروبا أو تركيا • بل أخذ فى التودد  
الى الاحتلال والنزول عند ارادته ، حتى انه زار لندن  
عام ١٩٠٠ ! •



أما فيما يتعلق بمصطفى كامل فقد اتخذ رد فعل حادثة فاشودة عنده اتجاهها عكسيا . لقد كتب الى جريدة « جلوا » يقول : « نحن لا نطلب من فرنسا أن تحارب بريطانيا من أجل فاشودة . كلا ، ولكنى كنت أرى من الحكمة أن تشرط فرنسا ، قبل أن تترك فاشودة ، على بريطانيا أن تعيد كل شيء كما كان في مصر . لكنها أخجلتنا بالحط من كرامتنا » ! .

ثم أخذ مصطفى كامل ينقل نشاطه من أوروبا الى مصر في أعقاب هذه الحادثة . ففي خلال عام ١٨٩٩ أخذ يعد العدة لاصدار جريدة يومية ، يتصل من خلالها بالرأى العام في مصر ، خصوصا بعد أن أخذت جريدة « المؤيد » ، الوثيقة الصلة بالخدو ، تبدى نوعا من الفتور في نشر بعض مقالات مصطفى كامل ، بسبب فتور علاقته مع صاحبها . وقد صدر العدد الأول من « اللواء » يوم الثلاثاء ٢ يناير ١٩٠٠ .

وبصدور « اللواء » يدخل نضال مصطفى كامل منعظا خطيرا . فهو يمثل البداية الحقيقية لصياغة الرأى العام في مصر صياغة وطنية صلبة ضد الاحتلال ، ويمثل بالنسبة لمصطفى كامل ، البداية الصحيحة لزعامته السياسية . فحتى ذلك الحين كانت معرفة الرأى العام المصرى بمصطفى كامل تتم من خلال ما يصل اليه من أخبار نضاله في أوروبا من أجل المسألة المصرية في الأعوام الخمسة السابقة ، ومن خلال قليل من الخطب التى ألقاها في

مصر ، وبعض المقالات • ولم يكن في عين الرأي العام أكثر من  
« حضرة الكاتب الفاضل والخطيب الوطنى البليغ » ! - كما  
وصفته جريدة المؤيد •

ولكن انشاء جريدة « اللواء » كان اللبنة الأولى فى انشاء  
الحزب الوطنى ، ليس بمعنى « الجمعية السرية » التى تألفت  
قبل أربع سنوات تحت رئاسة الخديو ، وانما بمعنى الحزب  
الجماهيرى الذى يعمل تحت رئاسة مصطفى كامل ، والذى ارتفع  
بمستوى المعركة ، التى كانت دائرة على السلطة بين الخديو عباس  
والانجليز ، الى مستوى معركة وطنية لتحرير البلاد •

وفى الحقيقة أن الأحزاب السياسية فى مصر نشأت فى تلك  
الفترة التاريخية فى شكل صحف سياسية ! ، ثم أعلنت نفسها  
فيما بعد أحزابا • فقد ظهر حزب الأمة أول ما ظهر فى شكل  
صحيفة سياسية باسم « الجريدة » صدرت فى ٩ مارس ١٩٠٧ •  
كما تحولت جريدة « المؤيد » الى حزب « الاصلاح على المبادئ  
الدستورية » فى ٩ ديسمبر ١٩٠٧ • ثم تحولت جريدة « اللواء »  
الى « الحزب الوطنى » فى ٢٢ أكتوبر ١٩٠٧ • وهذا هو  
السبب الذى دعا بعض المؤرخين الى وصف هذا الصور من  
أطوار الحركة الوطنية باسم « الطور الصحافى » ! •

وفى الفترة من ظهور « اللواء » فى ٢ يناير ١٩٠٠ الى ١٩٠٤

كانت « اللواء » لا تدخر وسعا في دعوة الشعب الى الالتفاف حول الخديو عباس الثانى ، باعتباره - حسب قولها - « أول أمير أرشد الأمة الى محبة الوطن ، وأوقفها على ما لها من الحقوق ، وما يجب أن تكون عليه من المجد الجليل والشرف الأثيل » .

على أنه فى عام ١٩٠٤ أخذت تتجمع بعض الأسباب التى أثرت على علاقات مصطفى كامل بالخديو عباس ، ودعته الى قطع علاقته به . وأول هذه الأسباب مساندة الخديو للشيخ على يوسف صاحب المؤيد ، فى قضية زواجه من صفة ابنة السيد عبد الخالق السادات . وكان السيد السادات قد رفض زواج ابنته بالشيخ على يوسف لعدم الكفاءة ! . فرغم أن الشيخ على يوسف كان من نجوم المجتمع ومقربا من الخديو ، وصحفيا كبيرا ، الا أن صفة « الكفاءة » فى ظروف المجتمع المصرى الرجعى التى كان يمر بها وقتذاك ، كانت تقوم على شرف المولد ولا تقوم على العصامية والجهد الشخصى ! ولكن الشيخ على يوسف لم يعبأ بموافقة السيد السادات وتزوج بابنته رغما عنه ! ، مما دفعه الى رفع قضية على الشيخ يطلب فسخ زواجه بها لعدم الكفاءة الاجتماعية ! .

وقد اُفترق موقفا كل من الخديو عباس ومصطفى كامل آزاء هذه القضية . فقد وقف مصطفى كامل موقفا معاديا



ومهاجما ، مماثلًا للرأى العام ، الذى كان - بسبب تخلفه - ضد زواج الشيخ على يوسف بصفية السادات رغم ارادة أبيها ا - بينما وقف الخديو مؤيدا ، حتى انه أرسل أخاه محمد على لمصر قبل ميعاد عودته من أوروبا ليتكلم مع قاضى مصر اذ ذاك يحيى فاضل ! • وسرعان ما أدى هذا الخلاف الى صدام خطير بين مصطفى كامل والخديو •

وقد جرت مناسبة الصدام حين اجتمع الخديو بكل من مصطفى كامل ومحمود بك أبو النصر ومحمد فريد فى أغسطس عام ١٩٠٤ فى ديفون Divonne الحمامات بفرنسا ، وتناول الحديث قضية زواج الشيخ على يوسف • فأخذ مصطفى كامل - كما يقول محمد فريد فى مذكراته - « يلوم الخديو بلطف على مداخلته فى هذه القضية ، مبينا له أن هذه المداخلة تسيء الى سمعته ، خصوصا وأن الرأى العام كان ساخطا على الشيخ على لزواجه بالبنت رغم ارادة والدها • فقال الخديو : رأى عام ايه يا شيخ ؟ ! • هو فيه حاجة اسمها رأى عام أو أمة ؟ • أنا ان لبست برنيطة ومشيت فى البلد ما أحد يتكلم ! • ثم احتد الخديو وقال لمصطفى كامل أخيرا : أنا ما حبش تنصحنى ! • أنا عارف الواجب على ! • وقام زعلانا • فبقينا نحن • وكان مصطفى كامل فى حالة هياج شديد ، يقول : لا بد من قطع علاقاتى مع هذا الرجل » ! •

ثم يقول محمد فريد : « وقد عدنا بعد ذلك مع مصطفى كامل الى مدينة جنيف • فأراد مصطفى أن يكتب للخديو جوابا يقطع علاقاته معه • فمنعناه بكل مشقة • ولكنه صمم على رأيه فى نفسه • ولما عاد الى مصر فى سبتمبر ، حرر الجواب المشهور ، وأرسله اليه من اسكندرية ، وأرسل صورته الى جريدة الأهرام قبل مقابلتى حتى لا أمنعه » •

على أن سببا آخر حدث بعد هذه المقابلة ، وكان هو القشة التى قصمت ظهر البعير • ففى يوم ٨ سبتمبر كان مصطفى كامل قد اتفق مع الخديو على الحضور الى باريس لزيارة مدام جوليت آدم • واستعدت مدام جوليت آدم بالفعل لاستقبال الخديو ، ودعت عظماء القوم • ولكن فى اليوم الموعد أرسل الخديو تلغرافا الى السيدة يعتذر فيها عن الحضور ! •

ويقول مصطفى كامل فى خطاب أرسله لشقيقه على فهمى يوم ١٣ سبتمبر ، ان الخديو جاء بعد يومين الى باريس ، ومعه « رفيقته » ( عشيقته ) ، وهو تحت قدميها ، وانى يا أخى قرفت من خدمة هذا الرجل ، وكل الآلام المادية والفكرية التى لحقت بى فى هذه السنين نشأت من استيائى من الوجود بجانبه فى ذلك الوسط الفاسد ، المختل احساسا وشرقا ووطنية وفضيلة • ولذلك ترانى مصمما قطعيا على الاتصال عنه نهائيا ،

ولو صرت مكبلا في الديون » • ثم يقول مستدركا : « ولكن ليس معنى هذا العزم معاداة الرجل • كلا ، لأن معاداته تعد منى لؤما ودناءة ، وتسبب شماتة الأعداء ومتاعب كثيرة • ولكنى أريد أن أكون مستقلا ، أريد ألا يقال انى أكتب وأخطب بإيعاز من هذا المجنون » ! •

ثم قدم مصطفى كامل النصيحة لشقيقه لمواجهة ما قد يثير الشيخ على يوسف ، صديق الخديو وصاحب المؤيد ، ضده بسبب هذه القطبعة في جريدته ، فقال : « ولو فرضنا وكتب المؤيد أو غيره : ان الخديو غاضب على صاحب اللواء ( أى مصطفى كامل ) - وهو ما لا أظنه - فلا تكتب الا شيئا واحدا : لماذا ؟ هل خطف صاحب اللواء فتاة في خدرها ؟ هل هدم أركان الفضيلة ؟ هل حارب الاسلام في مشروعاته الحيوية ؟ - ولا تزد » ! • يريد مصطفى كامل أن يطعن الشيخ على في مسألة زواجه بابنة السادات رغم ارادة والدها ! •

ويتضح من ذلك جيدا أنه لا صلة بين الاتفاق الودى بين فرنسا وانجلترا في ٨ أبريل عام ١٩٠٤ ، وبين قطيعة مصطفى كامل للخديو - كما كتب المؤرخون ! • وكانت الدولتان قد قسمتا ، في هذا الاتفاق الودى ، مناطق النفوذ بينهما ، فاستأثرت فرنسا بمراكش واستأثرت انجلترا بمصر ، وكان لذلك وقع أليم في مصر ، وكان قاطعا في ازالة الأمل في فرنسا •



فقد اعتقد بعض المؤرخين أن الخديو اتجه بعد هذا  
إلى الوفاق الودى إلى التودد إلى الانجليز ، مما دفع مصطفى كامل  
إلى إعلان قطع علاقته به ! • مع أن الذى دفع الخديو إلى التودد  
إلى الانجليز هو — فى ضوء المعلومات السابقة — انقطاع علاقته  
بمصطفى كامل ! •

وكان ذكاء مصطفى كامل قد دفعه إلى الإيحاء بأثر الوفاق  
الودى ، وبما أحدثه من ظروف جديدة ، فى القطيعة التى أعلنها •  
فقد أعلن فى كتابه « أن الحالة السياسية الحاضرة تقضى على بأن  
أكون بعيدا عن فخامتكم ، وأن أتحمل وحدى مسئولية الخطة  
التى أتبعها نحو الاحتلال والمحتلين ، منعا لتكدير خاطركم  
الشريف ، ودفعنا لما عساه يقع من الخلاف والنزاع • وانه ليحلو  
لى أن أبقي إلى آخر لحظة من حياتى خادما لتلك المبادئ  
الوطنية العالمية ، التى كنتم سموكم أول الداعين إليها والمنادين  
بها » •

ولم يتردد مصطفى كامل بعد ذلك فى انتقاد الخديو عباس  
علانية بعد شهر واحد • فعندما أحال الخديو حسن باشا عاصم ،  
رئيس الديوان ، إلى المعاش ، أظهر مصطفى كامل أسفه على  
حرمان هذا المنصب السامى من رجل اشتهر بالنزاهة والكفاية •  
وكان يلمح بذلك إلى أن الاحالة إلى المعاش كانت بسبب رفض  
حسين عاصم إقرار صفة أطيان مشتهر التى كانت تهم الخديو ! •

كما انتقد الخديو عباس لوقوفه تحت العلم البريطانى فى حفلة استعراض الجيش الانجليزى بميدان عابدين فى نوفمبر ١٩٠٤ ، ولم يكن يحضرها من قبل .

وهكذا انقطعت الصلة الخاصة بين مصطفى كامل والخديو عباس . وقد كانت هناك أسباب هامة مكنت مصطفى كامل من اتخاذ هذه الخطوة الجسيمة . منها الاستقلال المالى الذى وفرته له جريدة « اللواء » . فقد أصبحت أكثر الصحف المصرية انتشارا . وقد ذكر سلامة موسى ، فى ذكرياته عن القاهرة فى ١٩٠٣ - ١٩٠٧ ، ان الطلاب وغيرهم كانوا يتخاطفون اللواء فور صدورها . وكانت تصدر بعد الظهر مثل معظم الصحف . وكان مقر « اللواء » الأول بالمنزل رقم ١٣ بشارع فهمى بجوار محطة باب اللوق ، ثم انتقل بعد حوالى عامين الى منزل فخم برقم ٢٩ بشارع الدواوين ( الذى أصبح شارع نوبار فيما بعد ) أمام وزارة الحقانية . وقد عرف « بدار اللواء » وتوفى فيه مصطفى كامل . وقد تحولت « اللواء » لتصبح أغنى الصحف المصرية بعد جريدتى الأهرام والمقطم ! .

أما السبب الثانى من أسباب قوة مصطفى كامل فى مواجهة الخديو ، فهو استناده ، بعد صدور « اللواء » ، الى رأى العام ، وإلى المجموعة الوطنية التى التفت حوله ، مثل أمين الرافعى ، وأحمد حلمى ، وعبد العزيز جاويش ، ومحمد فريد ،

وعلى فهمي ، والتي أخذت تنمو • حتى اذا حان وقت تأليف  
الحزب الوطني رسميا في ٢٢ أكتوبر ١٩٠٧ ، رأينا من الأعضاء  
شخصيات لها شأن مثل : ويسا واصف ، واسماعيل لبيب ،  
ومحمد حافظ رمضان ، وعمر سلطان ، ومحمود أنيس ،  
وفؤاد سليم حجازي ، وعلى المنزلاوي ، وغيرهم •

وفي الواقع أن الحظ الوطني الذي اتبعه مصطفى كامل في  
« اللواء » هو الذي أبرز زعامته في عين الشعب • فقد أصبح  
على احتكاك يومي به ، بعد أن كان نشاطه خارج مصر في أوروبا  
يبعده لحد كبير عن نبض الجماهير • وبعد أن كان يكثر من لوم  
الشعب ، حتى كتب الى محمد فريد يوم ١٩ أغسطس ١٨٩٨  
يقول : « لا أحد غيرك في المصريين نصيرا يساعدنني على خدمة  
الوطن » ثم يقول : « ما على الا الامتثال لارادة الخالق ، الذي  
كأنه أراد أن أكون الوحييد في خطتي ، الفرد المطالب  
بالاستقلال » ! • فان اقبال الجماهير على « اللواء » والتحامها  
« بصاحب اللواء » — كما عرف مصطفى كامل — قد غير من  
نظرتة ، ففي خطابه المشهور يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٠٧ تحدث عن  
« الروح الجديدة التي دبت في الأمة » ، وسخر من « الذين  
كانوا لا يرون فينا الا أمواتا تتحرك » ! — أي سخر من نفسه ! •

وبعد أن كتب في ٢٩ أغسطس ١٨٩٥ يقول « دعني بالله  
عليك من هذه الأمة التي بلاني الله بأن أكون واحدا من أبنائها —



خطب بعد اثني عشر عاما يقول : « لو لم أولد مصريا ، لوددت أن أكون مصريا » ! •

وقد اعترف مصطفى كامل بخطأ سياسة الاعتماد على فرنسا وأوروبا ، بعد أن ثبت عدم جدواها بعد الاتفاق الودي عام ١٩٠٤ • وقال : « ان العزلة التي صرنا اليها بعثت فينا روحا جديدا ، أرشدنا الى الحقيقة ، التي لا قوام لشعب بدونها ، ولا حياة لأمة بغيرها ، ولا وجود لنفر من الناس اذا لم يتبعوها وهي أن الأمم لا تنهض الا بنفسها ، ولا تسترد استقلالها الا بجهودها » ! •

وهذا الادراك هو الذي صنع في الحقيقة زعامة مصطفى كامل ! • فلا يصنع زعامة الزعماء اعتمادهم على القوى الخارجية والشعوب الأجنبية لتحرير بلادهم ، وانما يصنع هذه الزعامة الاعتماد على شعوبهم والتوافر على توعيتها ، وتربيتها التربية السياسية ، وتعبئة شعورها الوطني ضد غاصبيها ومحتليها • وهذا ما فعله مصطفى كامل من خلال جريدة « اللواء » ! •

وقد فعله أيضا مصطفى كامل من خلال خطبه الوطنية الحماسية الفريدة ، التي استخدم فيها الجمل الضخمة العاطفية التي تندفع بها الجموع الى الغاية التي يريدونها الزعماء دون روية • ولقد كانت نفوس الشباب المصري متعطشة لهذا الأسلوب

الوجدانى ، الذى اختفى منذ الثورة العرابية ، لتحيا بالأمل فى  
حياة عزيزة •

فى خطابه يوم ٢٢ أكتوبر عام ١٩٠٧ ينشد مصطفى كامل  
قائلا : « بلادى بلادى ، لك حبي وفؤادى ، لك حياتى ووجودى ،  
لك دمي ونفسي ، لك عقلى ولسانى ، لك لبي وجنانى ، فأنت  
أنت الحياة ، ولا حياة الا بك يا مصر » ! • ثم يقول :

« يقول الجهلاء والفقراء فى الادراك انى متهور فى حبها ! •

وهل يستطيع مصرى أن يتهور فى حب مصر ؟ • انه مهما  
أحبها فلا يبلغ الدرجة التى يدعو اليها جمالها وجلالها وتاريخها  
والعظمة اللائقة بها » ! •

وعندما وقع حادث فاشودة الذى خيب ظن الوطنيين ، أطلق  
عبارة المأثورة « لا معنى للحياة مع اليأس ، ولا معنى لليأس  
مع الحياة » • وكان ذلك فى خطابه بالقاهرة يوم  
٢٣ ديسمبر ١٨٩٨ •

وقد كان أقوى تأثير لمصطفى كامل بين الفئات المثقفة من  
بلاده من الطبقة الوسطى ، من الطلبة والموظفين والمحامين  
وغيرهم من أصحاب المهن الحرة • وقد استطاع أن يخاطب  
البورجوازية المصرية الوطنية بلغة المصالح التى تفهمها ، فيقول :

« متى تخلصت التجارة من الشكل الذي يسببه لها الاحتلال الانجليزى ، فستفتح لنا ولكم آفاقا ذهبية • ومتى تخلصت الصناعة من العوائق التى يخلقها لها الانجليز فى الجمارك ، فسترقى الصناعة الأهلية وتعود فائدة رقيها على أبناء مصر » ! •

وقد استطاع مصطفى كامل أن ينفذ الى قلوب الفلاحين المصريين بموقفه الرائع من مأساة دنشواى المشهورة ، حين وقع صدام بين الفلاحين وعدد من جنود الاحتلال ، الذين كانوا يصطادون الطيور بينادقهم ، وترتب عليه موت أحد الضباط واصابة آخرين ، ثم عقدت محكمة مخصوصة لمحاكمة المتهمين ، وقضت باعدام أربعة منهم شنقا ، وحكمت على ستة بالاشغال الشاقة لمدة متفاوتة ، وبالسجن سبع سنوات على ستة ، وبالحبس مع التشغيل مدة سنة مع الجلد خمسين جلدة على ثلاثة ، وبالجلد خمسين جلدة على خمسة • ونفذ الحكم بطريقة وحشية فى اليوم التالى لصدوره فى نفس القرية ، وفى المكان الذى مات فيه الضابط الانجليزى ! •

كان مصطفى كامل فى أوروبا حين وقعت المأساة ، ورغم أنه كان ذاهبا للاستشفاء ، الا أنه هب يؤلب أوروبا على انجلترا ، ويعلن أن « يوم ٢٨ يونية ١٩٠٦ سيبقى ذكره فى التاريخ شؤما ونحسا ، وهو خليف بأن يذكر فى عداد أيام التناهى فى الهمجية والوحشية » • ثم يسأل الأمة الانجليزية فى بيانها ، الذى أصدره



يعنوان « الى الأمة الانجليزية والعالم المتمددين » عما اذا كان يليق بها أن تترك ممثليها في مصر يلجئون ، بعد احتلال دام أربعة وعشرين عاما ، الى وسائل همجية ليحكموا مصر ؟ » •

ثم قصد مصطفى كامل الى لندن يوم ١٤ يولية عام ١٩٠٦ ليرفع صوت مصر في عاصمة الدولة المحتلة ، ويتخذ من الحادثة مرتكزا للمطالبة باستقلال مصر •

وقد عاد مصطفى كامل الى مصر ليعيد علاقته مع الخديو من جديد لمواجهة أخطار الاحتلال ، واستغلال الحادث الوحشي في تعبئة شعور الجماهير ضد الانجليز • ولذلك فقد طلب ، حين كان في أوروبا ، مقابلة الخديو من خلال أحمد شفيق باشا ، رئيس الديوان ، ولكن الخديو رفض • فلما عاد مصطفى الى مصر استطاع بواسطة الدكتور صادق رمضان ، اقناع الخديو بهذه المقابلة ، فتم اجتماع في عزبة الخديو في مسطرد ، حضره مع مصطفى كامل كل من محمد فريد ولطيف سليم باشا والدكتور صادق رمضان ، وتقرر فيه تأسيس الحزب الوطني والنادي وانشاء جريدتين ، احدهما انجليزية باسم «الاجيشان ستاندارد» ، والثانية فرنسية باسم « ليتاندار اجبسيان » - لتنوير الرأي العام الأوروبي في مصر والخارج •

وكان الخديو يرى أن يكون الحزب الوطني حزبا سريا ، ولكن مصطفى كامل وزملاءه أقنعوا الخديو بأن يكون الحزب

علنيا ، ولا بأس فيما بعد من تشكيل لجنة سرية أيضا ! • وقد ساهم الخديو عباس في تأسيس الجريدتين ، كما أوعز الى الكثير من الأغنياء بالدفع • ويقول محمد فريد ان مصطفى كامل اكتب بألف جنيه ! ، « ولكنى لا أدرى ان كان الخديو دفع له مساعدة في هذا المشروع أم لا ، لأنه رحمه الله يخفى كل ما يختص بالمساعدات المالية التى كان يأخذها ، سواء كان من الخديو أو من السلطان عبد الحميد » ! •

وقد كان بسبب مرض كرومر وتقد سياسته في مجلس العموم أن قدم استقالته • ولما جاء خلفه « سيرالدون جورست » أوصى حكومته بالافراج عن المحكوم عليهم في دنشواى •

كانت كراهية مصطفى كامل للاحتلال البريطانى لا يضارعها الا حبه لمصر ، ورغبته في استقلالها • وكان الاحتلال في نظر مصطفى كامل هو علة العلل ، وهو أعظم الأسباب لتخلف الأمة وضعفها • وزوال الاحتلال معناه ازالة العوائق التى تعرقل رقى الأمة وتقدمها في المناحي الاجتماعية والاقتصادية • وقد عبر مصطفى كامل عن ذلك في قواه انسالف الذكر « متى تخلصت التجارة من الشلل الذى يسببه لها الاحتلال الانجليزى ، فستفتح لنا ولكم آفاقا ذهبية ، ومتى تخلصت الصناعة من

العوائق التي يخلقها الإنجليز في الجمارك لغاياتهم ، فسترقى الصناعة وتعود فائدة ترقيا على أبناء مصر » •

وقد أدت هذه النظرة الى الاحتلال الى تبيجتها الطبيعية ، وهى رفض التعامل مع الاحتلال أو الاتفاق مع الانجليز ، والنظر بعين الشك والريبة الى الوطنيين الذين كانوا يتعاملون مع الاحتلال كحقيقة واقعة فى خدمة مصالح بلدهم ، وللتخفيف من أضراره ما أمكن •

ومن أجل ذلك كان مصطفى كامل يتلقى من خصومه السياسيين الهجوم والسخرية ، لأنه فى الوقت الذى يتهم كل من يتصل بالانجليز بالمروق من الوطنية ، كان يلجأ اليهم فى نفس الوقت على صفحات جرائده بطلب الدستور والشكوى من القسوة التى تم بها الحكم والتنفيذ فى قضية دنشواى ! •

وقد كان مفهوم مصطفى كامل لاستقلال مصر متفقا مع الأيديولوجية ( أى النظرية ) السائدة فى عصره ، وهى أيديولوجية الجامعة الاسلامية • ففى ذلك العصر لم تكن فكرة « القومية المصرية » أو فكرة « القومية العربية » واضحة فى أذهان الناس ، بل كانت فكرة « الجامعة الاسلامية » ، التى ترى فى الاسلام رابطة أقوى من أية رابطة قومية أخرى ، وترى ضرورة تماسك شعوب الامبراطورية العثمانية للدفاع ضد الخطر الاستعمارى القادم من أوروبا •



ولهذا السبب كان مصطفى كامل يرى أن بقاء الدولة العثمانية « أمر ضروري للجنس البشرى » ! وأنه من الضروري التفاف المسلمين حول عرش السلطان ، « فملكة الخلافة الإسلامية هي في الحقيقة مملكتنا ، وقبلتنا التي إليها نلجأ ونحوها تتجه » ! •

وفي هذا الضوء تفهم لماذا لم يطالب مصطفى كامل باستقلال مصر ورفع السيادة العثمانية عنها ، لأن استقلال مصر معناه تفتيت الدولة العثمانية ، وتفتيت الدولة العثمانية لا يفيد سوى الاستعمار الأوروبي ، ويتنافى مع وجوب تقوية الدولة العثمانية حتى تتمكن من صد المد الاستعماري ، بل هو - أكثر من ذلك - يسلم مصر لقمة سائغة لاحتلال ، الذي لم يكن يحول بينه وبين ضم مصر إلى الامبراطورية البريطانية إلا حقوق الدولة العثمانية المكفولة بمعاهدات دولية ! •

ولذلك فقد دعا مصطفى كامل في برنامج حزبه إلى « بذل الجهود لتقوية علائق المحبة والارتباط والتعلق التام بين مصر والدولة العلية » ! • وكان يؤمن بأن انقطاع هذه العلائق يؤدي إلى سقوط مصر في يد الانجليز ! - أو على حد قوله : « ماذا يكون مصير البلاد المصرية لو تنازلت تركيا عن حقوقها لانجلترا ، أو تعاهدت معها على ذلك بمعاهدة شبيهة بالمعاهدة

الفرنسية الانجليزية ( يقصد الوفاق الودى ) ألا تصير ولاية  
انجليزية ؟ » •

وعلى ذلك فان الاستقلال الذى كان يطالب به مصطفى  
كامل ، كان هو الاستقلال الذى حددته معاهدة لندن عام ١٨٤٠  
والفرمانات السلطانية الصادرة الى خديو مصر - أى الاستقلال  
الذاتى فى اطار السيادة العثمانية ! • ولم يكن فى وسعه أن  
يطالب بأكثر من ذلك فى ظل الاحتلال البريطانى ، والا أضر  
بالمصالح الاسلامية ! •

وكما أن مصطفى كامل لم يستطع أن يتحدى المناخ  
الاسلامى وفكرة الجامعة الاسلامية التى تتطلب التمسك بالرابطة  
العثمانية ، فكذلك لم يستطيع أن يتحدى المناخ الاجتماعى  
وميراث التقاليد الاجتماعية والدينية • لأن مثل هذا التحدى  
كان كفيلا بأن يفقده ثقة الجماهير ! •

ولذلك كان موقفه الاجتماعى رجعيا ! • فقد هاجم  
قاسم أمين شهورا طويلة ، لأنه دعا الى عمل المرأة وتحرير  
المرأة ! وكان من رأيه أن « حرية المرأة لا محل للحديث عنها  
الآن ! ، وعملية التطور الطبيعى تسير سيرها المحتوم » • كما  
عارضت جريدته سفور المرأة مهاجمة شديدة •

كذلك وقف مصطفى كامل موقفا محافظا ورجعيا في قضية زواج الشيخ على يوسف من ابنة السيد عبد الخالق السادات كما رأينا . فقد أنكر حق المرأة الرشيد في تزويج نفسها زواجا شرعيا ممن اختارته واختارها ، اذا عارض ولى أمرها ! . وتبنى وجهة النظر التى تقيم مفهوم « الكفاءة الاجتماعية » بين الزوج والزوجة على أساس الأصل والشرف الموروث ! ، وليس على أساس جهد الانسان الشخصى للرقى بنفسه ! - وهى وجهة نظر اقطاعية رجعية .

وفى اطار نظريته الى الاحتلال باعتباره أكبر خطر يعوق تقدم الأمة ، فقد عمد الى الحفاظ على الوحدة الوطنية والقومية عن طريق الدعوة الى « انهاض الفلاح العزيز واعلاء مكاتته ، لأنه ممثل النشاط المصرى ومصدر كل خير ونعيم » . وفى الوقت نفسه عن طريق الدعوة الى وحدة المسلمين والأقباط . ففى خطبته بالاسكندرية يوم ٢٢ أكتوبر عام ١٩٠٧ وقف يقول : « كيف يستطيع رجل وطنى أن يدعو الى الشقاق والبغضاء وهذه الدعوة مناهضة للوطنية الصحيحة ؟ . فالأقباط أخوة لنا فى الوطن ، تجمعنا بهم أشرف رابطة ، وقد عشنا معهم القرون الطوال على أتم وفاق وأكمل اتفاق » .

وكان مصطفى كامل أول من أشرك الأقباط فى الحركة الوطنية ، فقد اصطفى اليه ويصا واصف ومرقص حنا . وكان



ويعا واصف عضوا منتخبا في اللجنة الادارية الاولى للحزب الوطني ، وقد أعلن مصطفى كامل أن « المسلمين والأقباط شعب واحد ، مرتبط بالوطنية والعادات والاخلاق وأسباب المعاش ، ولا يمكن التفريق بينهما مدى الأبد » .

وكان مفهوم مصطفى كامل للحرية يشمل البلاد وشعبها . فكان « جلاء الانجليز » وسيلته لتحرير أرض مصر ، وكان « الدستور » وسيلته لتحرير الشعب المصري .. ففي خطبته بمسرح زيزينيا بالاسكندرية يوم ٢١ مايو ١٩٠٢ ، أكد على ضرورة انشاء مجلس نيابي لمراقبة أعمال الحكومة وتقييد أعمالها ، وكأداة لاصلاح عيوب الحكم . ولكنه كان يرى أن الاستقلال - بالمعنى الذي ذكرناه ، وهو الاستقلال الذاتي في اطار السيادة العثمانية - هو المدخل الحقيقي للدستور . أو على حد قوله في خطبته بالاسكندرية يوم ٧ يونية ١٩٠٤ « أن الاستقلال وحده هو الذي يحمي البلاد والممالك من كل بلاء ، ويدفع عنها اعتداء الغير ، ويرقى ملكة الأفراد ، ويهب الشعوب الحرية والحكومة الدستورية ، والسيادة الداخلية والخارجية » .. ومعنى ذلك أنه كان يعتبر الاحتلال مسئولا عن حرمان مصر من الدستور وليس الخديو ! . وهو صحيح .

ومنذ عام ١٩٠٣ أخذت صحة مصطفى كامل تتأثر بهذا النضال الذي لا يهن ولا يهدأ . وقد كتب الى مدام جوليت آدم

في ٢٥ سبتمبر ١٩٠٣ يخبرها بمرضه وبأن الأطباء رأوا من الواجب عليه قضاء معظم ذلك الشهر في « التيرول » للاستشفاء •  
وكان تعليقه : « لهم الحق في ذلك ، فاني لم أشفق على نفسي » •

وفي ٢٥ يونية ١٩٠٥ كتب اليها خطابا يشكو اليها من أن « العمل قد أضنانى الى حد أشعر معه بسرعة الحاجة الى ترك الوسط الذي أعيش فيه » ! • ثم ألقى هذه العبارة الغريبة : « كأن الطبيعة قد خالفت سنتها ، اذ جعلت قوة روحى أكبر من قوة جسمى » ! •

وكان في أوروبا في صيف عام ١٩٠٦ للاستشفاء ، ولكن حادث دنشواى انتزعه انتزاعا ، فكان من نشاطه ما مر بنا ، وألف الحزب الوطنى بينما كان مرض الدرن يفترس صدره ، وألقى خطبة يوم ٢٧ ديسمبر عام ١٩٠٧ ، المشهورة والمعروفة بخطبة الوداع ، بينما كان يقترب حثيثا من الموت ! • ولذلك عاد بعدها الى غرفته ولم يتركها حتى مات يوم الاثنين ١٠ فبراير عام ١٩٠٨ •

يقول الدكتور محمد حسين هيكل انه كان في عصر ذلك اليوم جالسا مع أحد زملائه طلبة مدرسة الحقوق الخديوية على باب داره ، « عندما جاز الطريق أمامنا رجل ممتط جوادا • فلما كان بازائنا وقف برهة فحيانا ، وقال : أبقي الله حياتكم ،

الباشا توفى ! • وكان زميلى من المتشيعين للحزب الوطنى المتطرفين فى تشيعهم ، فلما سمع قول الناعى سأله فى لهفة : مصطفى كامل ؟ فأجابه الرجل منطلقا بجواده : نعم ، ولكم طول البقاء ! • وتركنا أنا وصاحبى واجمين من هول الخبر » •

وكان يوم ١١ فبراير يوم حداد فى العاصمة وفى مصر كلها • ثم يشغل الناس شىء فيه غير جنازة الزعيم الذى مات فى شرح الشباب ! • فالمدارس والهيئات الوطنية كلها تفكر فى تنظيم الجنازة ، وأهل الريف يقدون من أطراف البلاد للاشتراك فيها ، والحكومة تعد وسائل الأمن والنظام ، والأجانب الذين رأوا العاصمة جللت بالسواد ، ورأوا أهلها اتشحوا بأسباب الحداد ، كانوا يفكرون فى العمق الذى تغلغل اليه الروح الوطنى من سويداء نفس هذه الأمة •

فلما سار النعش يحمله على أعناقهم أهل دنشواى ، صمتت كل المدينة ، ولم يبق منها أثر لحياة الا فى مشهد وداع هذا الرجل فى رحلة الأبد ! • لقد كان يوم ١١ فبراير ١٩٠٨ هو اليوم الذى اختلج فيه قلب مصر للمرة الثانية منذ الاحتلال ، أما اليوم الأول فكان يوم تنفيذ حكم دنشواى ! •

وربما كان أحسن وصف لمصطفى كامل هو الذى جاء من رجل ربطته الأقدار به برباط غريب من الود والخصام ،



والتمرد والولاء ، والحب والكراهية ، وهو الخديو عباس حلمي . قال : « كان مصطفى كامل فتى خلع عليه الشباب كل نعمة ، بما فيها نعمة الوهم المقدس ! . وكان قد آثر الحياة الروحية على الحياة المادية . وكان حديث العهد بذلك البلد القديم ، الذي لم تكن هالات المجد ترتفع فيه الا على القبور ! . وكان لا يعرف شيئاً من الوضاعة والمساومات السياسية . وكان مستقيماً . وتحت مظهره اللطيف كانت تكمن روح متفتحة لكل الأحاسيس ، وقلب حساس لكل ألوان الرقة والحزان . وقد زانه الله بالحجى ( العقل والفطنة ) . وكانت بلاغته واضحة وحارة ، وكان أسلوبه الرشيق العامر بالصور ينتقل من البساطة الانجيلية الى بلاغة الخطيب الممتع العظيم ! . وقد أوتى موهبة الاقناع ، وسحر الاشعاع الذي يؤتاه الحواريون والأنبياء ! . وكان الحب الذي يكنه لوطنه ينبع من حماسة لا تفقده سيطرته على عقله » ! .

تمت

## فهرس تفصلى

### الصفحة

|    |   |
|----|---|
| ٣  | تقديم « تاريخ المصريين »                      |
| ٩٠ | تقديم الكتاب                                  |
| ١١ | نشأة مصطفى كامل                               |
| ١٨ | لقاء مصطفى كامل بعبد الله النديم              |
| ٢٢ | مصطفى كامل ودروس الثورة العراقية              |
| ٢٣ | تولى عباس حلمى العرش                          |
| ٢٥ | نشأة العلاقة بين عباس حلمى ومصطفى كامل        |
| ٢٧ | احتكاك مصطفى كامل بأوروبا                     |
| ٣٠ | استخدام عباس حلمى لمصطفى كامل فى العمل الوطنى |
| ٣٩ | الوطنى وارساله الى باريس                      |

|    |  |
|----|--|
| ٣٢ | مصطفى كامل ودى لوتكيل فى باريس ... ..                                |
| ٣٩ | الخلاف فى القصر حول عودة مصطفى كامل الى مصر                          |
| ٤٤ | نزعة مصطفى كامل الفردية وتطلعه المبكر الى الزعامة ...                |
| ٤٦ | أزمة مصطفى كامل النفسية وسخطه لأنه ولد مصرياً !                      |
| ٤٧ | قطع عباس حلمى المال عن مصطفى كامل لحمله على<br>العودة الى مصر ... .. |
| ٥٢ | قرار مصطفى كامل بعدم العودة وطلبه المال من<br>أصدقائه .. ...         |
| ٥٤ | تجمد نشاط مصطفى كامل فى باريس وعودته الى مصر                         |
| ٥٥ | سعى مصطفى كامل لاستئناف علاقاته مع الخديو ...                        |
| ٥٧ | عودة العلاقات بين مصطفى كامل والخديو ... ..                          |
| ٦٠ | تأليف « الحزب الوطنى السرى » تحت رئاسة الخديو ...                    |
| ٦٣ | نشاط مصطفى كامل فى أوروبا عام ١٨٩٦ ... ..                            |
| ٦٤ | طلب مصطفى كامل للتجنيد ... ..  |
| ٦٥ | مصادر تمويل مصطفى كامل ... ..  |



## الصفحة

|    |   |
|----|---|
| ٦٦ | موقف مصطفى كامل من حملة مارشان وحادثة فاشودة                        |
| ٦٦ | صدور جريدة « اللواء » ... ..  |
| ٧١ | قضية زواج الشيخ على يوسف واثرها على علاقات مصطفى كامل بالخدو ... .. |
| ٧٤ | الوفاق الودى بين فرنسا وانجلترا عام ١٩٠٤ ... ..                     |
| ٧٦ | بروز زعامة مصطفى كامل بعد صدور اللواء ... ..                        |
| ٨٠ | مصطفى كامل وحادثة دنشواى .. ...                                     |
| ٨٩ | فلسفة مصطفى كامل السياسية والاجتماعية ... ..                        |



رقم الايداع ١٩٨٧/١٩٨٨  
الترقيم الدولي ١ - ١٢٦٣ - ٠١ - ٩٧٧

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب







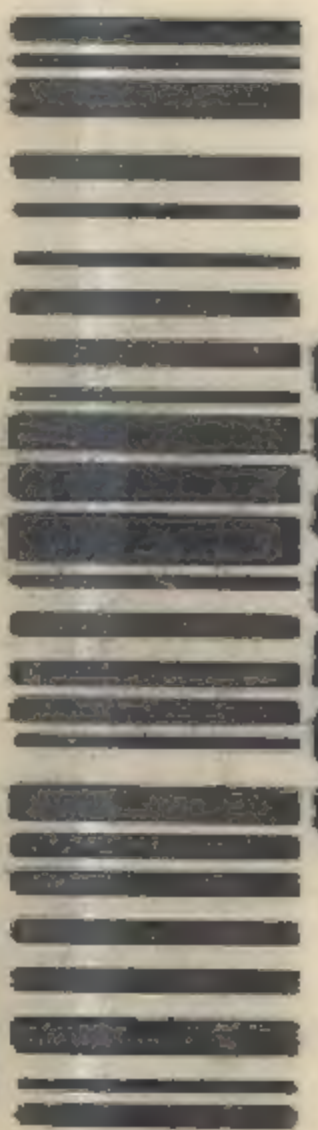


تعلم المصريون تاريخ مصطفى كامل من منظور الحزب الوطنى ومؤرخه الكبير  
عبد الرحمن الرافعى ، وهو منظور يصور الزعماء فى هالة من البطولة الفذة  
المجردة من الأخطاء البشرية . على أنه لما كانت المدرسة التاريخية الحديثة تنظر إلى  
البطولة الشعبية فى صورتها الإنسانية ، وفى إطار التجامها بالشعب صانع  
البطولات . فمن هنا كانت هذه الدراسة التاريخية عن مصطفى كامل فى محكمة  
التاريخ .

٥٠ قرشا

مطابع الهيئة المصرية

Bibliotheca Alexandrina



0252008

